

المهاد

الكناية في الدراسات البلاغية

الكناية لغة :

كنى في (المعجم العربي) تدل على (عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه). قال الخليل (ت ١٧٠ هـ): " كنى فلان يكني عن اسم كذا، إذا تكلم بغيره مما يُستدل به عليه، نحو: الجماع.. والغائط والرفث ونحوه " (١)، فهو يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه. كما اشترط هذه الدلالة ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): " يُقال: كذبت عن كذا.. إذا تكلمت بغيره مما يُستدل عليه " (٢).

إلا أن الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) قال: " الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره " (٣). وبذلك فهو لم يشترط دلالة المكنى به على المكنى عنه صراحة، ويبدو أن الجوهري لم يذكر الدلالة، لكونها لازمة للكناية، وأن المكنى لا يعتمد إلى مالا دلالة له على المكنى عنه، ولهذا فإن ابن منظور (ت ٧١١ هـ) يأخذ بالقولين (الذي يشترط الدلالة والذي لا يشترطها) وكان القولين واحد فيقول: " والكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وكنى عن الأمر بغيره يُكنى كنايةً. يعني: إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو: الرفث والغائط ونحوه " (٤).

وفي ضوء هذا تُفسر الكناية بأي من هذين القولين. وهذا ما ذهب إليه الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، إلا أنه يقدم ما اشترطت فيه الدلالة على ما لم تشترط فيه الدلالة على ما لم تشترط فيه فقال: " كنا به عن كذا يَكني، ويَكْنُو كنايةً: تكلم بما يُستدل به عليه أو أن تتكلم بشيء وتريد غيره " (٥).

ونرى أن اشتراط الدلالة على المكنى عنه وتقييد الكناية به أولى من عدم اشتراطها وإطلاق القول فيها، إذ إن اشتراط الدلالة يميز الكناية من غيرها من الأساليب

١ كتاب العين: ٥ / ٤١١ (كنى).

٢ مقاييس اللغة: ٥ / ١٣٩ (كنو).

٣ الصحاح: ٦ / ٢٤٧٧ (كنى).

٤ لسان العرب: ١٥ / ٢٣٣ (كنى).

٥ القاموس المحيط: ٤ / ٣٨٦ (كنى).

فمع الإطلاق يفهم من الكناية مجرد العدول عن لفظ إلى غيره، فتختلط الكناية بغيرها كالتورية ^(١) المجاز ^(٢).

وقد جعل قسم من اللغويين الكناية تورية، قال ابن فارس معقباً على قول الشاعر:
وَأَنِّي لَأَكْتُوْ عَنْ قُتُوْرٍ بِغَيْرِهَا وَأَعْرَبُ أَحْيَاناً بِهَا فَأَصَارُحُ
ألا تراه جعل الكناية مقابلة للمصارحة؟ ولذلك تسمى الكنية كنية، كناية تورية عن اسمه ^(٣) "وانتهى إلى أن: "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره" ^(٤). وقال ابن منظور: أيضاً: "الكنى: جمع كنية من قولك: كذبت عن الأمر، وكثوت عنه: إذا ورّيت عنه بغيره" ^(٥).

وهكذا فسّر بعض اللغويين الكناية التي قالوا فيها: بأنها العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه بالتورية التي أجمعوا على أنها من الستر والإخفاء ^(٦). ولعل هذا الخلط عائد إلى اشتراك الكناية والتورية في معنى (الستر والإخفاء) لغة فكلهما يستر المعنى ويخفيه وراء لفظ غير لفظه.

ومعلوم أن العدول عن ذكر اللفظ، لا يعني بالضرورة إخفاءه وستره، كما لا يعني إبرازه وإظهاره، وإنما هو مجرد تركه، ومن هنا "فاللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالخفي الذي أخفي عن عمد وقصد، فهو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيق، يشف عما تحته، فلا هو مستور، ولا هو عار، أما المورّي عنه فمكسو بكساء ساتر يستره ويخفيه، ولهذا يعمد إلى التورية عند إرادة الإخفاء والإيهام والتضليل، بخلاف الكنى، إذ هي دالة على أصحابها دلالة الأسماء على مسمياتها. ولولا هذه الدلالة لما عدل الناس عن الأسماء إليها" ^(٧). وهذا ما أشار إليه ابن منظور في تعقيبه على قول القائل: "رأيت علجاً يوم القادسية وقد تكنى وتحنّى أي تستر من كنى عنه إذا ورّى، أو من الكنية،

(١) ينظر: الكناية، د. محمد جابر فياض، ص ١٢٠.

(٢) مقاييس اللغة: ٥ / ١٣٩ (كنو).

(٣) المصدر نفسه: ٥ / ١٣٩ (كنو).

(٤) لسان العرب: ١٥ / ٢٣٤ (كني).

(٥) ينظر مثلاً: لسان العرب: ١٥ / ٢٨٩ (ورى).

(٦) الكناية، ص ١٢١.

كفّه ذكر كنيته عند الحرب ليعرف " (١) فقد أصاب في قوله: " كأنه ذكر كنيته ليعرف "، وجانب الصواب في قوله: " .. أي تستر، من كنى عنه إذا ورى "، إذ لماذا يستتر وهو علم من أعلام القادسية، وبطل من أبطالها ؟ وممن يستتر ؟ وليوث الحرب، وأبطال المعارك وأعلامها يمجرون بأسمائهم وكناهم والقابهم عندما يكرون على أعدائهم، ليشتبعوا الرعب في نفوسهم (٢).

والبيت الذي استدل به ابن فارس لم يرد فيه الشاعر التورية والإيهام والتضليل، ولو أراد ذلك لما ذكر اسمها صراحة في صدر بيته، ولما قال في عجزه " وأعرب أحياناً بها فأصارع "، لأن الكناية دالة على ما عدل عنه، لا لتخفي وتوهم وتضلل. وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن الكناية - لغة - هي عدول عن لفظ (إلى آخر دال عليه).

والعدول في هذا المفهوم اللغوي للكناية لا يعني ستره وإخفائه وتضليله كما هو في (التورية) (٣) ولا يعني - أيضاً - إبرازه وإظهاره وكشفه فينقلب التعبير إلى تعبير مباشر يقرر معناه بطريقة مباشرة. وإنما يعني أن المكنى عنه ليس بالواضح وضح المذكور صراحة، ولا هو بالخفي المضلل الذي لا تكاد تنبئته إلا بالتأمل وإمعان النظر. هو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رفيع شفاف يوحي بالمعنى ولا يباشر به، يلمح إليه ولا يقرره.

(١) لسان العرب: ١٥ / ٢٣٣ (كنى).

(٢) ينظر: الكناية، ص ١٢٢.

(٣) يمكن أن نلاحظ بعض الفروق بين أسلوب (الكناية والتورية) في المعنى الاصطلاحي لهما على الرغم من اشتراكهما لغة في الستر والإخفاء، فكلاهما يستر المعنى ويخفيه وراء لفظ غير لفظه - أهمها:

١ - أن الكناية تقع في المفردة والتركيب على حين أن (التورية) لا تقع إلا في المفردة.
٢ - تهدف التورية إلى تضليل المورّي عنه وإخفائه، إذ هي تركز إلى المغالطة والإيهام في حين أن الكناية دالة على المكنى عنه لا توهم ولا تضلل بل هي توحى بالمعنى المكنى عنه من وراء سجعها، وقال ابن الأثير الحلبي في جواهر الكنز: " ولا فرق بين التورية والكناية، إذ التورية ذكر لفظ له معنيان، والكناية كذلك. وما قل أحد من العلماء بالفرق، إلا أن التورية أفردت وصار الناس يلهجون بذكرها في محاوراتهم، ونظمهم، ونثرهم، ويستحسنون لفظها، فصارت كنهها غير الكناية " ص ١١٢. فهو ينظر إلى المعنى اللغوي لهما دون المعنى الاصطلاحي كما هو واضح.

٣ - إن التورية ترد على الوجه الحقيقي، بينما ترد الكناية على الوجه المجازي.
وينظر: نشاط الصفدي في النقد والبلاغة، د. مناهل فخر الدين فليح، ص ٣٥ وما بعدها.

مفهوم الكناية ودلالاتها الاصطلاحية :

يحد الباحث في فن الكناية أقوالاً كثيرة متناثرة في مصادر متنوعة أسهم فيها جمع غفير من العلماء من مفسرين ولغويين ونحويين وأدباء وبلاغيين، أسهموا جميعاً في تطوير الدلالة للكناية حتى استقرت بدلالاتها الاصطلاحية عند البلاغيين المتأخرين.

وفي طليعة هؤلاء العلماء المفسرون لكتاب الله، فقد احتوى القرآن الكريم كُنَايَات كثيرة، نَصَمَنت منها أحكاماً شرعية، فكان لزاماً على المفسر أن يوضح معانيها والمراد منها.

ويُعَدُّ ابن عباس (رضي الله عنهما) (ت ٦٨ هـ) من أوائل المفسرين، فقد أشار إلى عدد من كُنَايَات القرآن، وبين المكنى عنه في كل منها وعَلَّله، فقال في قوله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ تَسْمُ الْنِسَاءَ﴾ ^(١) المسَّ واللمس والمباشرة: الجماع، ولكنَّ الله يعف ويكني ما شاء بما شاء ^(٢) وفي قوله - تعالى -: ﴿أَجَلْ لَكُمْ يَسَاءُ الرِّفْقُ إِلَيَّ سَاءَ بَكُمُ﴾ ^(٣) الرفق الجماع، ولكن الله كريم يكني ^(٤).

وفي قوله - تعالى -: ﴿فَأَنزَلْنَا يُثْرُونَ﴾ ^(٥) المباشرة: الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء ^(٦) وفي قوله - تعالى -: ﴿فَلَا رَفْقَ...﴾ ^(٧) الرفق هنا غير الرفق الذي ذكر في ﴿أَجَلْ لَكُمْ يَسَاءُ الرِّفْقُ إِلَيَّ سَاءَ بَكُمُ...﴾ فهو من التعريض بذكر الجماع، وهو من العرابية في كلام العرب، أي أدنى الرفق ^(٨).

وكما هو واضح فإن استعمال الكناية عند ابن عباس يقيد ستر المعنى الذي نلجأ إليه باستعمال الفاظ مهذبة دالة على المعنى المراد بدلاً من الألفاظ الموضوعة لذلك المعنى.

(١) من الآية ٤٣ من سورة النساء ، وسورة المائدة ، من الآية: ٦
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري: ٦٥ / ٥. وينظر: الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي: ٨ / ٢.

(٣) سورة البقرة ، من الآية: ١٨٧.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن: ٩٤ / ٢.

(٥) سورة البقرة ، من الآية: ١٨٧.

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن: ٩٨ / ٢.

(٧) سورة البقرة ، من الآية: ١٩٧.

(٨) جامع البيان في تفسير القرآن: ١٥٤ / ٢.

وقد نهج أكثر المفسرين بعده نهجه في التفسير والبيان مثل: (مجاهد: ت ١٠٣ هـ)، و (قتادة: ت ١١٧ هـ)، وغيرهما (١).

أما اللغويون والنحاة فإن مفهوم الكناية عندهم يعني كلّ عدول عن صريح اللفظ إلى ما دلّ عليه من الضمائر والكُنَى وأسماء الأشياء والأعداد.

فأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) يطلق الكناية على الضمير لحلوله محل الاسم الصريح، ودلالته عليه، فقال: " لا تُضَاف ﴿يُشِيرُونَ﴾ إِلَّا بَنُونَ الْكِنَايَةِ كَقَوْلِكَ (تَبْشِرُونِي) " (٢).

ويذكر الخليل الكناية ودلالاتها والدافع التهذيبي الذي يدفع إليها في الكلام في قوله المارّ ذكره (٣).

ويذكر سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تكنية العرب بفلان وفلانة - من غير ما ألف ولام - عن أسماء المتحدث عنهم من الأدميين، وبالألف واللام في تكذبتهم عن غير الأدميين فقال: " هذا فلانُ بنُ فلان، لأنه كناية عن الأسماء التي هي علاماتٌ غالبية، فأجريت مجراها فإذا كذبت عن غير الأدميين قلت: الفلان والفلانة، جعلوه كناية عن الناقة التي تسمى بكذا، والفرس الذي يسمى بكذا، ليفرقوا بين الأدميين والبهائم " (٤).

ومثّل (كم) في الكناية عن العدد بفلان وفلانة في الكناية عن الأسماء فقال: " وذلك قولك: له كذا وكذا درهماً، وهو مبهم في الأشياء بمنزلة (كم) وهو كناية للعدد، بمنزلة (فلان) إذا كُنيت به في الأسماء " (٥).

وهكذا أطلق سيبويه الكناية على علامة المضمّر من أسماء الأدميين وغير الأدميين والأعداد. وهذا المفهوم للكناية هو بالمعنى النحوي لا البلاغي، وهو ما نجده عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وقد أشار الفراء إلى عدد من كنايات القرآن، ونقل في بعضها ما قاله ابن عباس، فقال في قوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنَّ لَا تَوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ (٦) يقول: لا يصفق أحدكم

(١) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: المواضع السابقة نفسها، و ١ / ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٢٤، ٣٢٧ وغيرها.

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة: ١ / ١٣.

(٣) ينظر: ص ٧ من:.

(٤) الكتاب: ٣ / ٥٠٧.

(٥) نفسه: ٢ / ١٧٠.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٥.

نفسه في عدتها بالرغبة في الذكاح والاكثار منه بن ابن عباس أنه قال: السر - في هذا الموضع - النكاح

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنْفِيكَ بِرَتْ وَالْأَيَّ شَهَةِ السَّرِّ أَمْثَالِي
قال الفراء: " ويرى أنه مما كنى الله عنه، قال - تعالى - ﴿ أَوْجَعَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِلِ ﴾^(١) " (٢)

وقال في قوله - تعالى - ﴿ سَمِعْتُمْ وَأَبْصَرْتُمْ وَيَلْوُدُّهُمْ ﴾^(٣) الجلد - ها هنا - والله أعلم هو ما كنى عنه، كما قال - تعالى - ﴿ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُمْ سِرًّا ﴾ يريد: الذكاح، وكما قال: ﴿ أَوْجَعَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِلِ ﴾ والغائط الصحراء " (٤)

وقال في قوله - تعالى - ﴿ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ﴾^(٥) كناية عن ذهاب السمع والبصر والختم على الأفئدة. وإذا كذبت عن الأفاعيل وإن كثرت وحذت الكناية، كقولك للرجل: أقبالك وإدبارك يؤذيني. وقد يقال: إن الهاء التي في ﴿ بِهِ ﴾ كناية عن الهدى، وهو كالوجه الأول " (٦)

إن ضمير الغائب المفرد (الهاء) ناب عن ذهاب السمع والبصر والختم على الأفئدة، أو عن الهدى وأن يحل الضمير محل الاسم هو الكناية عند القراء، وهذا ما نفهمه في شرحه لقوله - تعالى - ﴿ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٧) وقال: وإن شئت جعلت ﴿ هِيَ ﴾ للأبصار، كنييت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها، كما قال الشاعر:
لعمري أبوها لا تقول ظعيني ألاف عني مالك بن أبي كعب
فذكر الظعينة وقد كنى عنها في (العمر) " (٨)

(١) سورة النساء ، من الآية ٤٣ ، وينظر : سورة المائدة ، الآية : ٦ .

(٢) معاني القرآن : ١ / ١٥٣ ، وينظر : الاتقان في علوم القرآن : ١ / ١٠٠ .

(٣) سورة فصلت ، من الآية ٢٠ .

(٤) معاني القرآن : ٣ / ١٦ .

(٥) سورة الأنعام ، من الآية ٤٦ .

(٦) معاني القرآن : ١ / ٣٣٥ .

(٧) سورة الأنبياء ، من الآية : ٩٧ .

(٨) معاني القرآن : ٢ / ٢١٢ .

ومقتضى كلامه أن ﴿هـ﴾ تدخل محل ﴿أَصْغَرُ﴾ مضمرة في الآية، وجاءت الأبصار الثانية لتفسر هذا المضمّر، كما هو الأمر في بيت مالك بن أبي كعب الذي أضمرت فيه الطعينة الأولى وناب عنها الضمير "ها" وجاءت الطعينة الثانية لتشرح هذا المضمّر وتبينه.

ويُتضح أكثر أن الكناية عند الفراء هي ما ينوب عن المضمّر أو علامته على حد قول أهل النحو، حين يشرح الآية الكريمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهُمْ إِلَى الْآذَانِ﴾ (١)، قال: "فكُنَى عن هي، وهي للأيمان ولم تُذكر. وذلك أنّ الغلّ لا يكون إلا باليمين، والعنق، جامعاً لليمين، والعنق: فيكفي ذكر أحدهما من صاحبه" (٢). أي أنّ الأيمان مضمرة في الآية وحلت ﴿هـ﴾ محلها، فنابت أو كُنّت عنها.

وشأن أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) شأن الفراء في أن المعنى الذهوي للكناية لم يمدحه من أن يشير إشارة عابرة - أيضاً - إلى الكناية بمعناها البلاغي، وهي إشارة تفيد الستر ولا شيء غيره، بمفهومه اللغوي الصرف. قال أبو عبيدة: "ومن مجاز ما يحول خبره إلى شيء من سببه، ويُترك خبره قوله - تعالى -: ﴿فَطَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ فَمَا خَصَّيْعِينَ﴾" (٣) حَوَّلَ الخبر إلى الكناية التي في آخر الأعناق" (٤).

الكناية في ضوء هذا المعنى هي ما ينوب عن المضمّر - أي إضمار (الكفار) وظهور الضمير (هم): ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾، والتقدير: (أعناق الكفار)، ولما كان الضمير سقراً لكلمة الكفار أطلق عليه أبو عبيدة لفظ الكناية.

ويقول: "ومن مجاز ما جاء من الكنايات في موضع الأسماء بدلاً منهن قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾" (٥) فمعنى ﴿مَا﴾ معنى الاسم، مجازة: إنّ صنيعهم كيد ساحر" (٦).

- (١) سورة يس، من الآية: ٨.
- (٢) معاني القرآن: ٢ / ٣٧٢.
- (٣) سورة الشعراء، الآية: ٤.
- (٤) مجاز القرآن: ١ / ١٢.
- (٥) سورة طه، من الآية: ٦٩.
- (٦) مجاز القرآن: ١ / ١٥.

إنَّ كناية عن الصنيع، حسب مفهوم الكناية عنده، أي هي التي نابت في الآية عنه وحذت محله، وقد أضمر فصارت علامة له. والأشياء نفسه في قوله - تعالى -: ﴿يَا لَيْلَىٰ مَسَّ﴾ ^(١) إذ ﴿يَا لَيْلَىٰ﴾ كناية عن المفعول ذكرت عوضاً عنه وقامت مقامه ^(٢). ويكشف أبو عبيدة عن المكنى عنه في دراسته لطائفة من الآيات مثل قوله - تعالى -: ﴿أَوْجَلَةٌ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ يقول: "كناية عن حاجة ذي البطن" ^(٣) وفي قوله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نَسْئَلِ الْمَاءَ﴾ "كناية عن الغشيان" ^(٤) وقال في قوله - تعالى -: ﴿أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ ^(٥) كل من رجع عما كان عليه، فقد رجع على عقبيه ^(٦) وفي قوله - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ يَبْلُغْ كِتَابَهُ عَلَىٰ مَا نَفَقَ فِيهَا﴾ ^(٧) أي فأصبر نادماً، والعرب تقول ذلك للنادم: أصبح فلان يقلب كتبه ندماً وتلهفاً على ذلك، وعلى ما فاتته ^(٨) وقال في قوله - تعالى -: ﴿مَنْ يَأْمُرْكُمْ﴾ ^(٩) يقال لامرأة الرجل: هي فراشه، ولباسه، وإزاره، ومحل إزاره ^(١٠). إنَّ الكناية بالمعنى النحوي هو الاستعمال الأساس عند أبي عبيدة وعند القراء كذلك، أي أنها تؤدي مفهوم ما نحويّاً لا بلاغيّاً بوصفها وسيلة تعبير تصويرية، أو تركيبيّاً يشكل مجموعة إشارات لغوية تدل على مدركات ننقل بواسطتها إلى المعنى المطلوب إذ إن مفهوم الكناية عندهما يفيد أنها إحدى وسائل لغة القرآن الفنية.

إنَّ المعنى البلاغي للكناية نجده يتضح ويتعمق عند الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فهو قد وقف عند الكناية وقفات متعددة، تحدث فيها عن هذه الطريقة في التعبير العربي بشكله الفني، حديثاً يحدّد معناها البلاغي الذي ارتآه علماء البيان بعده. فقد ذكر أمثلة مختلفة للكناية بنوعها: القريبة والبعيدة.

(١) سورة الفاتحة، من الآية: ٥.

(٢) ينظر: مجاز القرآن: ٢٤ / ١.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٨ / ١.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٥ / ١.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٤.

(٦) مجاز القرآن: ١٠٤ / ١.

(٧) سورة الكهف، من الآية: ٤٣.

(٨) مجاز القرآن: ٤٠٤ / ١.

(٩) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(١٠) مجاز القرآن: ٦٧ / ١.

وقد أفرد الجاحظ للكناية باباً في كتابه (الحيوان) سمّاه (باب من الفطن وفهم الرطانات والكنائيات) (١). ومما أورده في هذا الباب قوله: "أخبرني شيخ من بني العنبر قال: أسر بنو شيبان رجلاً من بني العنبر، قال: دعوني حتى أرسل إلى أهلي ليفدوني، قالوا: على ألا نكلّم الرسول إلاّ بين أيدينا، قال: نعم، قال: فقال للرسول: انت أهلكي فقل: إنّ الشجر قد أورك، وقل: إنّ النساء قد استنكت وخرزت القريتم قال له: انطلق إلى أهلي فقل لهم: عزّوا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثاً عن أمري - وكان حارث صديقاً له - فذهب الرسول فأخبرهم، فدعوا حارثاً فقصّ عليه الرسول القصة فقال: أما قوله: " إنّ الشجر قد أورك " فقد تسلّح القوم، وأما قوله: إنّ النساء قد استنكت وخرزت القرب " فيقول: قد أخذت الشوكا وخرزت القرب للغزو، وأما قوله: " عزّوا جملي الأصهب " فيقول: ارتحلوا عن الصّمان "، وأما قوله: " اركبوا ناقتي الحمراء " فيقول: انزلوا الدّهناء. وكان القوم قد تهيّئوا لغزوهم، فخافوا أن ينذرهم، فأنذروهم وهم لا يشعرون، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم " (٢).

وهذا النص يشهد باستعمال الجاحظ لمصطلح الكناية حسب معناه اللغوي، لكنه في الوقت نفسه مرتبط بمعناه البلاغي ومندرج تحت المفهوم العام لهذه الوسيلة التعبيرية، لأن الكنائيات في النص:

- ١ - ستر للمعنى المراد.
 - ٢ - استعمال الألفاظ يريد بها المتكلم لازم معناها، لا معناها الذاتي المباشر.
 - ٣ - تحتمل أن تكون حقيقة من جهة أنها استعمال حقيقي للألفظ، ومجازاً من حيث تعبيرها عن معنى آخر قريب من المعنى المقصود وذو علاقة دلالية به.
- وكذلك نلاحظ أن الجاحظ وعي نوعين من الكناية هما: (القريبة والبعيدة) وقد أشار إليهما أكثر علماء البلاغة بعده حين قسموها إلى قريبة وبعيدة. والقريبة هي: " أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه " (٣). والبعيدة هي " أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة " (٤).

(١) الحيوان: ٣ / ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ١٢٤-١٢٥.

(٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ص ١٩٠.

(٤) نفسه، ص ١٩٠-١٩١.

قال الجاحظ: " قالوا: حيّذا الوُضْحُ. والوضح كناية عن البياض، والبياض كناية عن البرص، وأوضح الخليل: ما فيها من البياض " (١)، إذ يصح عدّ هذا المثال من الكناية القريبة، إذ انتقلنا من الوضح إلى البرص، لا يقتضي مدّا عملية ذهنية بعيدة التخرج من اللازم إلى الملزوم.

وتجد وعي الجاحظ بالكناية البعيدة في أمثلة لم يتوخّ مذهب أصحابها ستر المعنى، الذي ترقّعوا عن التعبير عنه بشكل مباشر، وإدما تحيّلوا وعبروا عن تحيّلهم بلاغة مبدعة سهّبة.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " هذا عدوّ شديد كلبه، قليل سلته " (٢)، فالانتقال من اللازم (المعنى المكنى به) إلى الملزوم (المعنى المكنى عنه) لا يتم في قول عمر إلّا بتلطّف وإعمال فكر، لأن الكلب يستدعي في ذهننا ضراوة الحيوان وشدته الناتجتين عن الداء الذي أصابه، ثم ننقل من هذا الذي ندرّكه من الكلام بشكل مباشر إلى المعنى المرتب عليه الخاضع لظروف الخطاب، وهو أن عمر وصف العدو بداء الكلب أو جنونه، ومعناه أنه شديد قاس، وربما لا نحتاج إلى هذا الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى المراد، عبر معنى ضمني في قوله: " قليل سلته ". لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد، سواء فيما يتعلّق بالكلب أو السلب، بل يتعداه إلى كناية بعيدة أرادها عمر، وهي نهيّه عن أن يتعرّض المخاطب إلى هذا العدو أو يحاربه، لأن حربه شديدة وغائمه قليلة (٣) وقد أدرك ذلك الجاحظ قائلًا: " فذهي كما ترى عن التعرّض لهم، بأحسن كناية " (٤).

والكناية عند الجاحظ أسلوب تقتضيه الضرورة، فهو عنده أبلغ من التصريح إذا كان التصريح لا يحسن، أو كان متعذرًا، والتصريح أبلغ إذا كانت الكناية لا تفي بالغرض، يقول في ذلك " وقال بعض أهل الهند: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة " (٥).

(١) البرصان والعرجان، ص ٩٤.

(٢) رسائل الجاحظ: ٧٦ / ١.

(٣) ينظر: الرؤية البيانية عند الجاحظ، إدريس بلمليح، ص ٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) رسائل الجاحظ: ٧٦ / ١.

(٥) البيان والتبيين: ٨٨ / ١.

وبذلك فإن الجاحظ يسلك في دراسة أسلوب الكناية مسالك مختلفة مع تبيين قيمتها التعبيرية، ومواقع صلاحيتها وعدم صلاحيتها في الاستعمال اللغوي^(١).
أما ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فقد خصص في كتابه (تأويل مشكل القرآن) باباً سماه (الكناية والتعريض) وقد أطل الحديث فيه عنها. والكناية عنده أنواع، ولها مواضع يقتضيها مقتضى الحال والسياق. قال: "والكناية أنواع، ولها مواضع، فمنها أن تكني عن اسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته، أو كتبت إليه، إذ كانت الأسماء قد تنفق، أو لتعظمه في المخاطبة بالكنية، لأنها تدل على الحنكة وتُخبر عن الاكتهال"^(٢).
فالكناية عنده ذات مدلول لغوي، بمعنى عدول عن لفظ إلى آخر دال عليه لظاهر المعنى بما يُلحق زيادة في الدلالة وتعظيماً للمخاطب.

وعلى الرغم من أن ابن قتيبة لم يقدّم إلا مفهوماً لغوياً للكناية إلا أنه عرض لكثير من شواهدا وبخاصة الكنايات القرآنية وحللها تحليلًا يدل على أنه كان يعي وظيفتها وقيمتها في التعبير عن المعاني. قال في قوله - تعالى - ﴿وَبَايَعْتُمْ كَثِيرًا﴾^(٣) أي طهر نفسك من الذنوب، فكنتي عن الجسم بالذباب، لأنها تشتمل عليه^(٤) وقال في قوله - تعالى - ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ مَوَآءَ لَحَنَدَنَةٍ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِيلِينَ﴾^(٥) قال (قنادة) و (الحسن): اللهيؤ المرأة. وقال ابن عباس: هو الولد.

والتفسيران متقاربان، لأن امرأة الرجل لهؤة، وولده لهؤة، ولذلك يُقال: امرأة الرجل وولده ريحانته. وأصل اللهيؤ: الجماع، فكنتي عنه باللهؤ، كما كنتي عنه بالمرء، ثم قيل للمرأة لهؤ لأنها تُجامع^(٦).

وقال في قوله - تعالى - ﴿وَيَقِضُونَ أَيِّدِيَهُمْ﴾^(٧) أي يمسكون عن العطية، وأصل هذا: أن المُعطي بيده يمدّها ويبسطها بالعطاء، فقيل لكل من بخل ومنع: قد قبض يده. ومنه قوله - تعالى - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٨) أي: مُمَسِّكَةٌ. ومنه

(١) ينظر: البلاغة عند الجاحظ، د. أحمد مطلوب، ص ٩٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ص ٢٥٦.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ص ١٤٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٧.

(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٢-٢٦٣.

(٧) سورة التوبة، من الآية: ٦٧.

(٨) سورة المائدة، من الآية: ٦٤.

قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا أُتْبُحًا بِهَمٍّ﴾ (١) أي: نذروا من الهلاك. وأصل هذا: أَنَّ العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فحاصره فقد دنا أهلُه من الهلكة (٢).

وذكر (التعريض) وعده لونا من ألوان الكناية، وقال فيه: "والعرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو اللفظ وأحسن من الكشف والتصريح" (٣) " وضرب له أمثلة قرآنية، فمن ذلك ما خبر الله ﷺ من نبي الخَصَم: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلٰى دَاوُدَ فَقَرَعُوا مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا وَبَيْنَ بَعْضِكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَنْطَلِقُوا أَمَدِنَا إِلَىٰ سَوَاءٍ الْفَصْرِطِ﴾ (٤) "إذ دنا آخى لله رُفْعَ وَمَعُونٍ نَجْمَةٍ وَلِيٍّ نَجْمَةٍ وَجِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ" (٥) " إنما هو مثل ضربه الله ﷻ ونبيه على خطيئته به. وورى عن النساء بذكر النعاج، كما كنى الشاعر عن جارية بشاة، وكنى الآخر عن النساء بالقُورُورُ (٦).

ومن التعريض قوله - تعالى -: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَكُونُوا كَافِرِينَ﴾ (٧) " أراد: بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يفعل ولا ينطق" (٨).

ويقدم أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه (الكامل) دراسة عن الكناية اتسمت بالتصنيف العلمي.

يقول المبرد: "والكلام يجري على ضروب، فمنه ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلاً، فيكون أبليغ في الوصف" (٩). وقسم الكناية ثلاثة أقسام، قال: "والكناية تقع على ثلاثة أصرب، أحدها: التعمية والتغطية، كقول النابغة الجعدي:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ حَقَائِقَ كُلِّ مُكْتَنَّمٍ (١٠)
الكناية في هذا الضرب تعني الستر وعدم التصريح (أكني بغير اسمها).

(١) سورة يونس، من الآية: ٢٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ص ٢٦٧.

(٣) نفسه، ص ٢٦٣.

(٤) سورة ص، الأيتان: ٢٢، ٢٣.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٨.

(٨) الكامل: ٢ / ٢٩٠.

(٩) نفسه: ٢ / ٢٩٠.

أما الضرب الثاني، وهو الضرب الأحسن عند المبرد: "ويكون من الكناية - وذلك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله - وله المثل الأعلى -: ﴿أَيُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الْمَنَاجِيهِ أَرْفَأُ إِنْ فُتِنَكُمْ﴾ (١) - وقال: ﴿أَوَلَمْ نَسْمِ الْأَنْسَاءَ﴾ والملازمة في قول أهل المدينة - سالك وأصحابه - غير كناية، إنما هو اللّمس بعينه كذلك قولهم في قضاء الحاجة: جاء فلان من الغائط، وإنما الغائط الوادي، وقال الله ﷻ في المسيح بن مريم وأمه (صلى الله عليهما): ﴿كَانَا يَاسْكُلَانِ الْفُلُكَمَاءَ﴾ (٢) وإنما هو كناية عن قضاء الحاجة. وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لِمُؤْمِنِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ (٣) وإنما هو كناية عن القروج" (٤).

واستحسن المبرد لهذا الضرب من الكناية راجع إلى أنه يستر اللفظ الخسيس المعير عن معنى يدلّ عليه غيره، وهذا في حدّ ذاته يمثل محاولة من المبرد لدراسة الكناية دراسة تقوم على الموازنة بين دوافعها.

والضرب الثالث من الكناية: (التفخيم والتعظيم)، ومنه اشتقت (الكناية) وهو أن يُعْظَم الرجل من يُدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين:

"وقعت في الصّبّي على جهة التّفاول، بأن يكون له ولد ويُدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن يُنادى باسم ولده صيانة لاسمه" (٥). وتعني الكناية ستر الاسم وإخفائه وهو يقوم على المفهوم اللغوي وهو الكناية.

وعلى الرغم من أنّ المبرد لم يعرف الكناية تعريفاً اصطلاحياً، إلا أنه في دراسته لها حاول فيها الموازنة بين ضروريها المتفاوتة بين حسن وأحسن، وأول من حاول تقسيمها إلى ثلاثة أضرب، وإن كان هذا التقسيم لا يرجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه، وإنما هي ضروري لما تؤديه الكناية من فائدة في صناعة الكلام (٦).

وتدسم دراسة البلاغة بطابع التخصص عند ابن المعز (ت ٢٩٦ هـ) في كتابه (البدیع) وتصبح الكناية عنده واحدة من محاسن الكلام والشعر فقال: "ومنها - يقصد

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٧٥.

(٣) سورة فصلت، من الآية: ٢١.

(٤) الكامل: ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٥) نفسه: ٢ / ٣٩٢.

(٦) ينظر: علم البيان، د. بدوي طيبة، ص ٢٣٥، وينظر: الأسلوب الكنائي نشأته تطوره بلاغته، د. محمود السيد شيخون، ص ٩.

محاسن الكلام - التعريض والكناية. قال علي عليه السلام لعقيل، ومعه كبش له: أحد الثلاثة أحمق. فقال عقيل: أما أنا وكبشي فعقلان. وكان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان بسوء لم يجبه ويقول: إني لأتركك رفعاً لنفسك عنك، فجری بينه وبين علي بن عبد الله بن عباس كلام فأسرع عروة بسوء فقال: إني لأتركك لما تترك الناس له فاشتد ذلك على عروة.

وقال بعض ولد العباس بن محمد لابنه: يا ابن الراذية، فقال: **﴿وَالرَّازِيَةُ لَا يَكُونُهَا إِلَّا ذَانٌ أَوْ مُشْرِكٌ﴾** (١) د " (٢) (٣) - مضمناً الآية الكريمة على سبيل التعريض.

وما ذكره ابن المعتز من أمثلة هي أدخل في التعريض مذهبها في الكناية وإن كانت العلاقة بينهما علاقة عسوم وخصوص، إلا أن فضله - على الرغم من أنه لم يقدم تعريفاً للكناية - يتمثل في أنه أوقف كتابه على موضوع البلاغة خلافاً لمن قبله كالجاحظ والمبرد اللذين اتسعت دراسة الكناية عندهما بسمه لغوية حيث أريد بها غالباً (الستر والخفاء) ولكنها لم تخل من العمق والنضج ومن بعض الملاحظات التي حددت التعريف الاصطلاحي للكناية فيما بعد.

ووقف ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره على كثير من الكنايات القرآنية، وأشار إلى المكنى به والمكنى عنه فيها، وهو يعزز ما يذهب إليه أهل التأويل فيها. قال - تعالى - في الآية الكريمة: **﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَاحِ الرِّفْتُ إِلَىٰ فَيْصَالِكُمْ﴾** ، فأما الرقت فإنه كناية عن الجماع في هذا الموضوع بمثل الذي قلنا في تأويل الرقت قال أهل التأويل " (٤).

وقال في قوله - تعالى - : **﴿مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ﴾** كما قال نابغة بن جعدة: إذا ما الضجيج ثنى عطفها - تداعت فكأنت عليه ليأساً وبيروي: (تثنت)، فكنى عن اجتماعهما متحدرين في فراش واحد باللباس، كما يُكنى بالشباب عن جسد الإنسان (٥).

وقال في الآية: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** (٦) يعني - تعالى ذكره - بذلك: ولا يأكل بعضكم مال بعض

(١) سورة النور ، من الآية : ٣ .

(٢) سورة النور ، من الآية : ٣ .

(٣) البديع ، ص ٦٤ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن: ٩٤ / ٢ .

(٥) نفسه: ٩٤ / ٢ .

(٦) سورة البقرة ، الآية: ١٨٨ .

بالباطل، فجعل - تعالى ذكره - بذلك آكل مال أخيه بالباطل كالآكل مال نفسه بالباطل. ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (١) وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (٢) بمعنى لا يلمز بعضهم بعضاً ولا يقتل بعضهم بعضاً - لأن الله تعالى ذكره - جعل المؤمنين أخوة، فقتل أخيه كقتل نفسه، ولا مزه كلامه نفسه.

وكذلك تفعل العرب، تُكنى عن أنفسها بأخوانها، وعن أخوانها بأنفسها فتقول: أخي وأخوك أئنا أبطش، تعني: أنا وأنت نضطرع، فننظر أئنا أشد، فيكنى المتكلم عن نفسه بأخيه، لأن أخا الرجل عندها كنفسه (٣).

وقال في الآية: ﴿وَلَنْ يَمُنُّوَكُمْ يَوْمَ الْآدْبَارِ ثُمَّ لَا يَصْمُرُونَ﴾ (٤) فقوله ﴿يَوْمَ الْآدْبَارِ﴾ كناية عن انهزامهم، لأنك المنهزم يحول ظهره إلى جهة الطالب، هرباً إلى ملجأ وموئل ينل إليه منه، خوفاً على نفسه، والطالب في أثره، فدبر المطلوب - حينئذٍ - يكون محاذي وجه الطالب الهازمة (٥).

ويذكر ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه (العقد الفريد) عدداً من الكنايات القرآنية في الباب الذي خصصه للكناية والتعريض والذي أورد فيه أنواعاً منهما، فقال: "باب الكناية والتعريض: من أحسن الكناية اللطيفة التكنية عن المعنى الذي يقبح ظاهره وقد كنى الله - تعالى - في كتابه عن الجماع بالملامسة، وعن الحدث بالغاطة فقال - تعالى -: ﴿أَوْجَعُ أَحَدُكُمْ مِنْ الْغَاطِطِ﴾ والغاطط: الفحص وجمعه غيطان. ﴿وَقَالُوا مَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ بَعَثَ فِي هَذِهِ أُمَّةً مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّ الْفَاسِقِينَ﴾ (٦) وكنى به عن الحدث. وقال - تعالى -: ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكُمْ فَتُخْرِجُ بَيْعَتَهُ مِنْ مَعْبَرَتِهِمْ...﴾ (٧) فكنى بالشؤء عن البرص (٨).

وأردف ابن عبد ربّه هذا الباب بباب: (الكناية يورى بها عن الكذب والكفر)، وذكر له شواهد هي من التورية أو الإيهام والتضليل المتعمد المقصود وليس من الكناية، من ذلك: "ولما ولي الوثائق وأقعد للناس أحمد بن أبي دواد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء، أتى

(١) سورة الحجرات ، من الآية: ١١.

(٢) سورة النساء ، من الآية: ٢٩.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن: ٤ / ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران ، من الآية: ١١١.

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن: ٤ / ٣١.

(٦) سورة الفرقان ، من الآية: ٧.

(٧) سورة طه ، من الآية: ٢٣.

(٨) العقد الفريد: ٤ / ٤٦٢ - ٤٦٣.

فيهم بالحارث بن مسكين، فذيل له: أشهد أن القرآن مخلوق ؟ قال: أشهد أن التوراة والانجيل والزبور والقرآن، هذه الأربعة مخلوقة، ومد أصابعه الأربع، فعرض بها وكنى عن خلق القرآن، وخُصَّص مُهَجَّتَه من القتل وعجز أحمد بن نصر - فقيه بغداد - عن الكناية فلماها فقتل وصُلب " (١).

وأمثلة هذا الباب كأمثلة الباب - أيضاً - الذي جاء به بعنوان: الكناية عن الكذب في طريق المدح " فهي من التورية والإيهام وليس من الكناية، من ذلك الذي أورده: " ودخل على عيسى بن موسى وعنده ابن شيرمة، فقال له: أتعرف هذا الرجل ؟ - وكان رُمي عنده بريية - فقال: إن له بيتاً وقدماً وشرفاً، فخلّى سبيله. فلما انصرف ابن شيرمة، قال له أصحابه: أكنت تعرف هذا الرجل ؟ قال: لا، ولكني عرفت أن له بيتاً يأوى إليه، وقدماً يمشي عليها، وشرفاً: أذناه ومنكباه " (٢)، وأردف هذا كله بـباب: " الكناية والتعريض في طريق الذم "، قال فيه: " سئل ابن سيرين عن رجل، فقال: توفي البارحة، فلما رأى جَزَع السائل، قال: ﴿ اللَّهُ تَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا ﴾ (٣) وإنما أردت بالوفاة: النوم " (٤).

وبذلك خلط ابن عبد ربّه بين الكناية والتورية. ولم يدخل في باب الكناية إلا ما ذكره من آيات قرآنية كريمة.

ثم نجد أسلوب الكناية يتطور من مفهومه اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي عند قدامة ابن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) في كتابه (نقد الشعر)، وهو أول من عرّفها باسم (الأرداف) ولم يسمها كناية، وذلك في دراسته لأنواع ائتلاف اللفظ والمعنى. قال: " ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى، وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع " (٥).

(١) المصدر نفسه: ٢ / ٤٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤ / ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٣) سورة الزمر، من الآية: ٤٢.

(٤) العقد الفريد: ٢ / ٤٦٧.

(٥) نقد الشعر، ص ١٥٧.

وهذا التعريف للأرداف هو تعريف (الكناية) عند الدارسين بعده كأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ^(١) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ^(٢) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ^(٣) وغيرهم ^(٤) والشواهد التي سلفها للأرداف هي من شواهد الكناية عند البلاغيين.

ثم يحاول قدامة أن يجلي هذا التعريف للأرداف بأبيات شعرية يبين فيها المعنى الذي ينطوي تحت هذا الفن، من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدةً مهوى القرط إمّا لنوف لأبوها وإمّا عبد شمس وهاشم
يقول: " وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو يعد مهوى القرط " ^(٥).

ويقول في بيت امرئ القيس:

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل
وإنما أراد أن يذكر ترفقه هذه المرأة وأن لها من يكفيها فقال: " نؤوم الضحى " وأن فتيت المسك يلقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت أي هي لا تنطق لتخدم ولكنها في بيتها متفضلة " ^(٦).

وتكاد الدراسة التي قام بها قدامة بشواهدنا نجدها في دراسة الكناية عند من جاء بعده.

وقد أشار قدامة إلى الوسايطيين المكنى به والمكنى عنه وأثرها في وضوح المعنى وغموضه، قال: " ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني، وذلك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف أخرى، كأنها وسايط وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن داخلاً في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الانغلاق وتعذر العلم بمعناه " ^(٧).

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٠.

(٢) سر القصاحة ، ص ٢٢١.

(٣) دلائل الإعجاز ، ص ١٠٥.

(٤) العمدة: ١ / ٣١٣ - ٣١٤ مثلاً.

(٥) نقد الشعر ، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٦) نفسه ، ص ١٥٨.

(٧) نقد الشعر ، ص ١٥٩.

وفي ضوء هذه الوسائط التي أشار إليها قدامة يؤسس البلاغيون المتأخرون - خاصة - معياراً لجودة الكناية ورداءتها، ومصطلحات توصف بها الكناية بحسب تلك الوسائط كالتلويح والرمز والإيماء والإشارة (١).

وبذلك يُعدّ قدامة أول من أعطى التعريف الاصطلاحي لفن الكناية، متجاوزاً بذلك الدراسات السابقة عليه والتي كادت لا تتجاوز المفهوم اللغوي للكناية.

أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فنجدّه يفرّق بين المفهوم اللغوي للكناية ومفهومها الاصطلاحي، إلا أنها موزعة بين عدة مصطلحات هي: (الكناية، والتعريض، والأرداف، والمسائلة) (٢).

ويعرّف الكناية والتعريض - وكأنهما شيء واحد عنده - بقوله: "وهو أن يُكنّى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرّح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء، كما فعل الغنّيري إذ بعث إلى قومه بصرّة شوك وصرّة رمل وحظلة يريد: جاءكم بنو حظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك" (٣).

مفهوم الكناية هنا مفهوم لغوي، ويعني: السرّ والخفاء. ومن الشواهد القرآنية التي أوردها لها، قوله - تعالى -: ﴿أَوْجَلَةٌ أُحَدِّثُكُمْ مِنْ الْعَاثِلِ﴾ قال: "فالغلط كناية عن الحاجة، وملامسة النساء كناية عن الجماع" وقوله - تعالى -: ﴿وَقُرْشٍ مَرْمُوعَةٍ﴾ (٤) قال "كناية عن النساء" (٥).

في حين نجد التعريف الاصطلاحي للكناية في تعريفه للأرداف كما عرّفه قدامة من قبل، قال أبو هلال: "أن يُريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه، الخاص به، ويأتي بلفظ هو رُفْه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده" (٦).

ومن الشواهد القرآنية التي أوردها، قوله - تعالى -: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الْكَرْبِ﴾ (٧) قال: "وقصور الطرف في الأصل موضوعه للعفاف على جهة التواضع والأرداف، وذلك أن

(١) ينظر: مفاتيح العلوم، ص ١٩٤، وستكلم عليها بالتفصيل في موضعها.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، ص ٣٥٠ - ٣٧٠.

(٣) نفسه، ص ٣٦٨. وينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٣ / ١٥٧.

(٤) سورة الواقعة، الآية: ٣٤.

(٥) كتاب الصناعتين، ص ٣٦٨.

(٦) كتاب الصناعتين، ص ٣٥٠. وينظر: نقد الشعر، ص ١٥٧، للمقارنة.

(٧) سورة الرحمن، من الآية: ٥٦. وينظر: سورة الصفات، الآية: ٤٨، وسورة ص، الآية: ٥٢.

المرأة إذا عَفَّتْ قَصُرَتْ طرفها على زوجها، فكان قصور الطرف رَدْفًا للعفاف، والعفاف رَدَف وتابع لقصور الطرف " (١).

كذلك نجد صوراً من الكناية عند العسكري في فصل (المماثلة) وقد عرّفها بقوله: " المماثلة: أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظ يكون موضوعاً بمعنى آخر، إلا أنه ينبيء إذا أورده عن المعنى الذي أراده، كقولهم: " فلان نقي الثوب "، يريدون به أنه لا عيب فيه. وليس موضوع نقاب الثوب البراء من العيوب، وإنما استعمل فيه تمثيلاً " (٢).

وأورد للمماثلة شواهد من القرآن الكريم منها قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٣) قال: " فمَثَل البذيل الممتدع من البذل بالمغلول، لسعنى يجمعهما، وهو أن البذيل لا يمتدُّ يده بالعطية فشيئ به بالمغلول " (٤)، وقوله - تعالى -: ﴿ كَأَنِّي تَقَضَّيْتُ عَرْكَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا ﴾ (٥)، قال: " فمَثَل العمل ثم إحباطه بالنقض بعد الفشل " (٦). وقوله - تعالى -: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ مَخَلًّا بَيْنَكُمْ قَوْلًا قَدِمَ بَعْدَ ثبوتِهَا ﴾ (٧) وأورد قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرْسَعُ لِيُصْعَقَ نَجْمٌ وَلِي نَجْمٌ وَاحِدٌ ﴾ (٨) وهو ليس من باب المماثلة، وإنما هو كناية عن موصوف (النساء)، أي: كذى بالنعاج عن النساء ولم يَدَّضَح في هذه الكناية التمثيل. فهو قد خلط بينهما كما خلط الكناية بالنعريض إلى حدٍّ لم يذنب القارئ ما يراه العسكري كناية وما يراه تعريضاً (٩).

وهذا الخلط في المصطلحات نجده عند ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) أيضاً في دراسته للكناية وقد جعلها في باب المجاز وباب الإشارة.

في باب المجاز يقول: " وكذلك الكناية في مثل قوله **يُنَادِي بِأَخْبَارٍ** عن عيسى ومريم - عليهما السلام -: ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّلْعَامَ ﴾ (١٠). كناية عما يكون عنه من حاجة

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٠.

(٢) نفسه ، ص ٣٥٣. وقرن بقدامة في نقد الشعر ، ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٣) سورة الاسراء ، من الآية: ٢٩.

(٤) كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٤.

(٥) سورة النحل ، من الآية: ٩٢.

(٦) كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٤.

(٧) سورة النحل ، من الآية: ٩٤.

(٨) سورة ص ، من الآية: ٢٣.

(٩) ينظر: كتاب الصناعتين ، ص ٣٦٨.

(١٠) سورة المائدة ، من الآية: ٧٥.

TV

وعقد ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) في كتابه (سر الفصاحة) دراسة للكناية امتازت بالعمق والتحليل الأدبي لها لتجلية قيمتها التعبيرية والجمالية من خلال موازنتها مع غيرها من التعبيرات في حدود النصوص التي تناولها.

وهو قد درس الكناية في موضعين:

الأول: تحت اسم الكناية، وذلك في دراسته للأجناس التي يجب فيها وضع الألفاظ موضعها، قال: "ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يُكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، وذلك أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة" (١).
فالكناية عنده أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة، والكناية أسلوب له مقامه وغرضه الذي يحسن فيه، والعدول عنه في المكان الذي يقتضيه يؤدي إلى فقدان الأسلوب الفصاحة والبلاغة. قال: "وإنما قلنا في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، لأن مواضع الهزل والمجون وإيراد النوانير يليق بها ذلك، ولا تكون الكناية فيها مرضية، فإن لكل مقام مقالاً، ولكل غرض فناً وأسلوباً" (٢).

ويورد ابن سنان مما يستحسن من الكنايات ومما يستقبح منها، قال: "ومما يستحسن من الكنايات قول امرئ القيس:

فصيرنا إلى الحسنى ورقّ كلامن
لأنه كنى عن المياضعة بأحسن
ورضت فذلت صعيّة أيّ إذلال
ما يكون من العبارة.
ومن هذا الفن أيضاً منت حسن الكناية قول أبي الطيب:
تدعي ما ادعيت من ألم الشوق
اليها والشوق حيث النحول
لأنه كنى عن كذبها فيما ادعته من شوقها بأحسن كناية، وأضداد هذا من قبح العبارات قول أبي الطيب:

أني على شغفي بما في خمره
الأعفّ عما في سراويلاتها (٣)
فالحسن عند ابن سنان في التعبير الكنائي أن يُكنى عن المعنى الذي لا يحسن في التصريح بالفاظ أخرى لا يدلّ ظاهرها عليه، والقبح عنده خلاف ذلك وهو التصريح باللفظ

(١) سر الفصاحة، ص ١٥٥، ١٥٦. وينظر: البيان والتبيين: ١ / ٨٨.

(٢) سر الفصاحة، ص ١٥٦.

(٣) سر الفصاحة، ص ١٥٦، ١٥٧.

المفحش كما فعل المتنبي. وهذا هو ما ذهب إليه الميرد من قيل في أن " من الكناية - وذلك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره " (١).

كما نجد الكناية عند ابن سنان في نعوت البلاغة والفصاحة، وهو يتابع في هذا قدامة بن جعفر في التحليل والتعريف، قال: " ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يدبغ ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمى الارداً والتبديع، لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعه " (٢).

ويقدم الخفاجي أمثلة لهذا النوع من الكناية ويحللها تحليلاً يجلي فيه القيمة التعبيرية له، من ذلك تحليله لبنت عمرو بن ربيعة:

بعيدة مهوى القُرط إِمّا لنوفل أبوهـــــــــا وإِما عبد شمس وهاشم

" فإنه إنما أراد أن يصف هذه المرأة بطول العنق، فلو عتبر عن ذلك باللفظ الموضوع له لقال - طويلة العنق - فعدل عن ذلك وأتى بلفظ يدل عليه وليس هو الموضوع له، فقال - بعيدة مهوى القُرط - فدل بعيد مهوى قرطها على طول الجيد، وكان في ذلك من المبالغة ما ليس في قوله - طويلة العنق - لأن بعيد مهوى القُرط يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه - طويلة العنق - لأن كل بعيدة مهوى القُرط طويلة العنق، وليس كل طويلة العنق بعيدة مهوى القُرط، إذا كان الطول في عنقها يسيراً، وهذا موضع يجب فهمه " (٣).

فهو يوازن بين التعبير لو جاء مصرحاً بطول العنق، والتعبير الكناني (بعيدة مهوى القُرط) لسبين قيمة التعبير الكناني والمبالغة التي يحققها ممّا لا نجده في التعبير الحقيقي الصريح.

ومثل هذه الموازنات تدلّ على نصح دراسته للكناية، من ذلك تحليله لبنت البحتري، قال: " ومن هذا الفن من الأرداف قول أبي عبادة:

فأَوْجَرَتْهُ فَأَضَلَّتْ تَصَالُهَا حَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحَقْدُ

(١) ينظر: ص ١٩ من:.

(٢) سر الفصاحة، ص ٢١٣، وقد الشعر، ص ١٥٧.

(٣) سر الفصاحة، ص ٢٢١.

لأنه أراد - القلب - فلم يعبر عنه باسمه الموضوع له، و عدل إلى الكناية عنه بما يكون اللب والرعب والحقد فيه، وكان ذلك أحسن لأنه إذا ذكره بهذه الكنايات كان قد دلّ على شرفه وتميزه من جميع الجسد بكون هذه الأشياء فيه، وأنه أصاب هذا المرمى في أشرف موضع منه، ولو قال - أصبته في قلبه - لم يكن في ذلك دلالة على أن القلب أشرف أعضاء الجسد، فعلى هذا السبيل يحسن الإرداف " (١).

ورغم هذا التحليل الذي يبين قيمة الكناية في التعبير عن المعنى، إلا أن الخفاجي يفصل بين الكناية والإرداف ولكل منهما موضعه الخاص به. والكناية عنده مقصورة على ما يستقبح ذكره من الألفاظ " (٢) " وهذه النظرة في دراسة الكناية تعدّ غرضاً واحداً من أغراضها وليست هي مفهومها العلم، وهي نظرة لغوية تقوم على ستر ما يستقبح ذكره - من الكلام - وتضع الكناية في موضع ضيق محتود يفصل بينها وبين (الإرداف) الذي هو معناه الاصطلاحي عند البلاغيين " (٣).

وسبب ذلك راجع إلى أن الكناية عنده ذات معنى لغوي لستر ما يستقبح ذكره وأما الإرداف وهو المعنى الاصطلاحي، فهو عنده من النعوت، فعمر بن أبي ربيعة بنعت صاحبتة (يبعد سهوى القرط)، والبدري يصف القلب بأنه مكنى اللب والرعب والحقد، وأن في الإرداف من المبالغة في الوصف ما لا يكون في التعبير الصريح " (٤).

إن دراسة الخفاجي للكناية مهّدت لمرحلة جديدة في دراستها، وذلك على يد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) الذي أفاد قائدة كبيرة من الدراسات السابقة له، خصوصاً ما قدمه الخفاجي في تحليلاته لأسلوب الكناية، وما قدمه قدامة بن جعفر من قبل من حيث تحديد المفهوم الاصطلاحي للكناية وعدم الفصل بينه وبين المفهوم اللغوي.

خصص عبد القاهر الجرجاني فصلاً للفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره، قال فيه: " أعلم أنّ لهذا الضرب اتساعاً، وتفنناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: الكناية والمجاز. والمراد بالكناية ههنا: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو ناليه وردفه في

(١) سر القضاة، ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٦ وما بعدها.

(٣) الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين أحمد، ص ٣٥٤.

(٤) ينظر: الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، ص ٣٦.

الوجود، فيوسيه به إليه، ويجعله دليلاً عليه" (١). فهو يُعرَف الكناية كما عَرَف قُدَّامة الإرداف من قبله، إلا أن عبد القاهر يسميها الكناية.

وقد أورد عبد القاهر أمثلة لهذا النوع من الكناية وأفاض في التحليل لبيان قيمتها وبلاغتها وأثرها في تصوير المعنى المقصود. مثال ذلك قولهم: "هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة، و"كثير رمد القدر" يعنون كثير القرى، وفي المرأة: "نؤوم الضحى"، والمراد أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها إذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى" (٢). ويقول في بيت الشاعر:

وما يكف في من غيب فأنجح بان الكلب مهزول الفصيل

"فكما أنه إنما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقرى والضيافة فكأن عن ذلك جبن الكلب وهزال الفصيل، وترك أن يصرح فيقول: قد عرف أن جنائي مألوف وكنبي مؤذّب لا يهرّ في وجوه من يغشائي من الأضياف، وإنّي انحر المثالي من إبلي وأدع فصاليها هزلي" (٣).

وكما تحدث عبد القاهر عن الكناية بطريق الإرداف في إثبات الصفة، تحدث عن نوع ثانٍ من أنواع الكناية اصطلاح عليه بالكناية عن تسمية، وهو أول من تحدث عنه وعلّج أسرار ودقته في التعبير (٤). يقول في هذا النوع من الكناية: "هذا فن من القول دقيق المسلك، لطيف المأخذ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب، وإذا فعلوا ذلك بدت هناك حاسن تملأ الطرف، ودقائق تعجز الوصف، ورأيت هناك شعراً شاعراً، وسجراً ساحراً، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المغلق" (٥). ثم يُفسّر هذا الكلام بقوله: "وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرمون وصف الرجل ومدحه وإثبات معنى من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكتون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٠٥. والمقارنة، ينظر: نقد الشعر، ص ١٥٧.

(٢) نفسه، ص ١٠٥.

(٣) نفسه، ص ٢٩٧.

(٤) ينظر: الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، ص ١٥٢. وينظر: عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، ص ١٥٨.

(٥) دلائل الإعجاز، ص ٢٩٦.

في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات.. " (١) ويورد عبد القاهر أمثلة كثيرة على هذا النوع من الكناية، من ذلك قول زياد بن الأعجم:

إِنَّ السَّمَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةِ ضَرْبَتِ عَلِيٍّ ابْنِ الْحَشْرَجِ
يبين عبد القاهر قيمة الكناية في البيت بتصويرها المعنى بطريقة حسية مؤثرة من خلال موازنته للبيت بما يقابله من معنى على سبيل التصريح.

ثم يقول: " وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه والإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة " (٢).

ومن هذا النوع أيضاً من الكناية (كناية عن نسبة) عنده ما ذكره في قوله: " ومما هو إثبات للصفة على طريق الكناية والتعريض قولهم: المجد بين ثوبيه، والكرم في برديه، وذلك أن قائل هذا يتوصل إلى إثبات المجد والكرم للممدوح بأن يجعلهما في ثوبه الذي يلبسه، كما توصل زياد إلى إثبات السماحة والمروءة والندى لابن الحشرج بأن جعلهما في القبة التي هو جالس فيها " (٣).

وكل ما ذكره عبد القاهر من شواهد سواء للكناية عن صفة أو الكناية عن نسبة دارت في كتب البلاغة بعده قاطبة ولم يكذب يخرج أحد عنها

إن قيمة الكناية في التعبير الأدبي عند عبد القاهر لا تنحصر في نطاق ضيق لا تخرج عن تغطية المعنى المستحش كما رأينا عند ابن سنان مثلاً، وإنما هي وسيلة حيوية من التعبير لكونها من الأساليب الإيحائية، فهي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة، وإنما يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال.

في الكناية معنى يقود إلى معنى مقصود من وراء الألفاظ والتراكيب وهو الذي سماه عبد القاهر " معنى المعنى " ومن خلاله وضّح عبد القاهر قيمة الكناية وأثرها في إيصال المعاني في أشكال وصور متعددة، يقول عبد القاهر: " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالاتفاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق. وعلى هذا

(١) نفسه، ص ٢٩٦.

(٢) نفسه، ص ٢٩٧.

(٣) نفسه، ص ٢٩٩.

القياس.. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثنائية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتَّمثِيل " (١)

ثمَّ قَدَّمَ عبد القاهر أمثلة للكناية والاستعارة والتَّمثِيل، موضحاً فيها " معنى المعنى " من ذلك أمثلته على الكناية: " أولاً ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماذ القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنك في جميع ذلك لا تقيّد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن بدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من كثير رماذ القدر أنه مضيف، وإذا قد عرفت هذه الجملة، فيها هنا عبارة مختصرة، وهي أن نقول: المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسّرت لك " (٢)

إنَّ " معنى المعنى " الذي لا يفهم من ظاهر اللفظ في أسلوب الكناية جعل البلاغيين يقسمون الكناية إلى قريبة وبعيدة، والقريبة إلى جلية وخفية، وذلك في ضوء الوسائط بين المكنى به والمكنى عنه ومدى قربها وبعدها أو ظهورها وخفائها. وقد تحدث عبد القاهر عن كل هذا بقوله: " وإذا كان ذلك كذلك علم علم الضرورة أن مصير ذلك إلى دلالات المعاني على المعاني، وأنهم أرادوا من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالاته مستقلاً بوساطته، يفسّر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ، وذلك لفك الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله إليك " (٣)

فالوسائط بين المكنى به والمكنى عنه عند عبد القاهر هي الروابط التي تربط بين المعاني الظاهرية للفظ والمعاني الثواني التي تتولد عنها، أو معنى المعنى كما يسميه عبد القاهر مما يجعل الصورة الكنائية متماسكة موحية بالمعاني بوصفها تعبيراً فنياً غير مباشر.

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٦٢.

(٢) نفسه، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٣) نفسه، ص ٢٦٦-٢٦٧.

وعلى كثرة ما أورد عبد القاهر الجرجاني من شواهد للكناية بنوعيتها التي ذكرها (كناية عن صفة، وكناية عن نسبة) كما اصطلاح عليهما عند المتأخرين والتي دارت في كتبهم، إلا أنه لم يقف عند الكنايات القرآنية فيما ساق من أمثلة.

إلا أن الكناية القرآنية ستعطى بعناية كبيرة عند الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في تفسيره البلاغي للقرآن الكريم، يقول الزمخشري: "ولا يغوص على شيء من ذلك الحقائق - يقصد الحقائق التي تضمنها آيات القرآن - إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني وعلم البيان" (١).

ولما كانت الكناية من فنون البيان فقد حظيت عنده بعناية كبيرة، وأشاد بكنايات القرآن الكريم في أكثر من موضع فقال: "... ولا ترى أحسن، ولا ألطف، ولا أحد للمفاصل من كنايات القرآن وأدابه" (٢) وقال: "وقوله: ﴿هُوَ أَدْنَىٰ مَا عَشَرُونَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في المحجيز ولا تقربون حتى يظنوا فإذا ظنوا فأتوهم من حيث أمركم الله إن الله يخبئ للمتقين ويخيب للمتظلمات ﴿يَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ فَأَتُوا حُرُوكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ بِشَيْءٍ﴾ (٣)، من الكنايات اللطيفة، والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلموها، ويتأثروا بها، ويتكلموا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم..." (٤).

وهذه الكنايات القرآنية التي تهدف إلى التهذيب بتغطية المعاني المستفحشة بالألفاظ حسنة دالة على المعنى، قد وقف الزمخشري عندها كثيراً موازناً بين معانيها التي تنقصها.

قال في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ (٥) فكنى به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك (فإن قلت): لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى الفحش، بخلاف قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ (٦) ﴿فَلَمَّا تَقَسَّسْنَا﴾ (٧) ﴿بَيْنَهُمْ﴾ (٨) ﴿أَوَلَمْ نَسْأَلِ الْمَاءَ﴾ (٩) ﴿وَحَلَّلْنَاهُ مِنْهُ﴾ (١٠) ﴿فَأَتُوا حُرُوكُمْ﴾ (١١).

(١) الكشف: ١ / ١٦.

(٢) نفسه: ٢ / ٢٤١.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢، ومن الآية: ٢٢٣.

(٤) الكشف: ١ / ٣٦٧.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٩٧.

(٦) سورة النساء، من الآية: ٢١.

(٧) سورة الأعراف، من الآية: ١٨٩.

(٨) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْؤُمَنَ ۖ ﴾^(٤) ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾^(٥) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾^(٦) (قلت): استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانياً لأنفسهم. (فإن قلت) لم عدّي الرفث بالي^(٧) (قلت): لتضمينه معنى الإفصاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في علاقته شبه باللباس المشتمل عليه^(٨).

والزمخشري قد ذكر الأنواع الثلاثة للكناية حسب المعنى المكنى عنه، كما استقرت عند البلاغيين المتأخرين. وهذه الأنواع هي: الكناية عن صفة، والكناية عن موصوف، والكناية عن نسبة. والزمخشري وإن لم يسمها بما اصطلح عليه فيما بعد، إلا أنه عني بمفهومها ووجه جهوده نحو الكشف عن قيمتها البلاغية في التعبير القرآني. وبذلك فهو بضيف نوع (الكناية عن موصوف) التي لم يذكرها عبد القاهر الجرجاني الذي اقتصر على ذكر الكناية عن صفة والكناية عن نسبة.

فالكناية عن صفة نجدها عند الزمخشري في تفسيره لقوله - تعالى - مثلاً: ﴿ وَلُحِيطَ بِشَرِّهِ ۖ فَأَصْبَحَ يَقُولُ كُفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا ۖ ﴾^(٩) قال: " " وأحيط به عبارة عن إهلاكه. وأصله من أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك. ومنه قوله - تعالى -: ﴿ إِلَّا أَنْ يَخَاطَبَكُمْ ﴾^(١٠) ومثله قولهم: أتى عليه، إذا أهلكه، ومن أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعلياً عليهم. وتقلب الكفين: كناية عن الندم والتدسر، لأن الندام يقاب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف^(١١) والمسقوط في اليد^(١٢). ولأنه في معنى الندم عدّي تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم^(١٣).

(١) سورة النساء، من الآية: ٤٣، وسورة المائدة، من الآية: ٦.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٣.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٢٤.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.

(٧) يقتضيه قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَكُنْ لَكُمُ الْبَيْتُ مَثَافِيرَ أُزْفَتْ إِنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ يَمَانِكُمْ وَأَنْتُمْ يَمَانُ لَهُمْ ۖ ﴾ سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(٨) الكشف: ٣٢٨/١.

(٩) سورة الكهف، من الآية: ٢٤.

(١٠) سورة يوسف، من الآية: ٦٦.

(١١) وورد في القرآن ﴿ عَمَّا عَلَيْكُمُ الْقَاتِلُ ﴾ سورة آل عمران، من الآية: ١١٩. و ﴿ يَشْرِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

ونجد الكناية عن موصوف في تفسير لقوله - تعالى - مثلاً: ﴿وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَوَسَّرَ﴾ (٣)، "أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنبو منابها وتؤدي مؤداها، بحيث لا يفصل بينها وبينها" (٤).

ويقول في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِنْتُهُنَّ بِقَرْنَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِمَا وَأَرْجُلُهُمَا﴾ (٥)، كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك، كذى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين (٦).

والكناية عن النسبة نجدها عنده في تفسير لقوله - تعالى - مثلاً: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٧)، قال: "والجنب: الجانب، يقال: أنا في جنب فلان، وجانبه وناحيته، ثم قالوا: فرط في جنبه وفي جانبه، يريدون في حقه، قال سابق البربري: أما تثقين الله في جنبٍ وأما قلته كذباً حررى عليك تقطع وهذا من باب الكناية، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه. ألا ترى إلى قوله:

إِنَّ السَّاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالنَّدَى فِي قَبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَسَنِ
ومنه قول الناس: لمكانك فعلت كذا: يريدون لأهلك.

وفي الحديث: ((من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل))، وكذلك فعلت هذا من جهتك. فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل: ﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ ، على معنى: فرطت في ذات الله " (٨).

ثم يزيد الكناية توضيحاً وبياناً بقوله: "فإن قلت: فمرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كالأمر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها، فكانه قيل: فرطت في الله، فما معنى في

(١) كما ورد في قوله تعالى -: جى بى بى ... سورة الأعراف ، من الآية ١٤٩ .

(٢) الكشف: ٥٦٥ / ٢ .

(٣) سورة القمر ، الآية: ١٣ .

(٤) الكشف: ٣٤٥ / ٤ .

(٥) سورة الممتحنة ، من الآية ١٢ .

(٦) الكشف: ٤١٥ / ٤ .

(٧) سورة الزمر ، من الآية ٥٦ .

(٨) الكشف: ٤١٦ / ٤ .

الله ؟ قلت: لايد من تقدير مضاف محذوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله، وما أشبه ذلك " (١).

إن أسلوب الكناية عند الزمخشري ذو مدلول أو سجع مما نجده عند المتأخرين، وهذا شأن المتقدمين فإنهم انطلقوا نحو الدرس البلاغي من منطلق اللغة، ونحوها به نحواً أدبياً رحباً، إذ إن قضية الانتقال من اللازم إلى الملزوم ومن الملزوم إلى اللازم التي أثارها البلاغيون الذين دخلوا دائرة العلمية الدقيقة من بعد الزمخشري كالسكاكي والقزويني، لم يلتفت الزمخشري إلى شيء منها، فللكناية أن تنتقل من أيهما شاعت، ففي الوقت الذي يرى السكاكي أن الكناية انتقال من اللازم إلى الملزوم يرى القزويني أن اللازم لايد من أن يكون ملزوماً في الكناية، وحينئذ يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم، وهذا ما نجده في قول الخطيب القزويني: " وفرق السكاكي وغيره بينهما [يعني الكناية والمجاز] بوجه آخر وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم، وفيه نظر لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم " (٢). فكما أن طول النجاد لازم لطول القامة هو ملزوم لها أيضاً، فيصح الانتقال في الحالتين.

يقول د. محمد أبو موسى: " وقد شغلت هذه المسألة أعلام الشراح بقدر ربما لم يكن في حاجة ماسة إليه، لأن الانتقال في الدلالات اللغوية لا يلتزم بهذه الدلالات المنطقية " (٣). والزمخشري لم يذسغل بهذه المسائل المنطقية، وإنما انشغل ببلاغة الكناية في التعبير عن المعاني، يقول في قوله - تعالى -: ﴿ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ ﴾ (٤). فإن قلت: ما معنى اشتراطه في إلقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت: إنهم إذا لم يأتوا بها وثبتين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ وإذا صح عندهم صدقه ثم لم يأتوا العناد ولم يذقدادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار، فقيل لهم: إن استبنتم العجز فتركوا العناد، فوضع ﴿ فَأْزَنُوا النَّارَ ﴾ موضعه لأن انتفاء النار لصيقه وضميمة ترك العناد، من حيث إنه من نتائجها، لأن من أتى النار ترك المعاندة، ونظيره أن يقول الملك

(١) نفسه: ٤ / ١٠٦.

(٢) الإيضاح: ٢ / ٤٥٦-٤٥٧.

(٣) التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٣٧١.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٤.

لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي، يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وأفعلوا ما هو نتيجة حذر السخط، وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة، وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة إتقاء النار منابه، وإبرازه في صورته مشيئاً ذلك بتهويل صفة النار وتقطيع أمرها " (١). فالانتقال هنا من اللازم (ترك المعاندة) إلى الملزوم (اتقاء النار) وترك المعاندة (لازم) لاتقاء النار.

وفرق الزمخشري بين الكناية والتعريض، فقال: " فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: طويل النجاد والحمائل لطويل القامة، وكثير الرماد للمضياف.

والتعريض: " أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكم لأسلم عليكم، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني نقاضياً.

وكلمة إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريد " (٢).

إن أسلوب الكناية وجد مناخاً خصياً في تفسير الزمخشري مفهومه وتطبيقاته، بل إن علم البيان والمعاني تطور تطوراً كبيراً، فقد كان تفسيره تطبيقاً عملياً وظف فيه الظواهر البلاغية للكشف عن أسرار بلاغة التعبير القرآني.

يقول د. شوقي ضيف: " يمكن أن يقال إن قواعد علم البيان قد كملت عنده كما كملت قواعد علم المعاني، وكل ما هنالك أنه بقي من يستقصيها ويتتبعها عنده وعند عبد القاهر وينظمها في مصنف يجمع متفرقاتها ويضم منثورها " (٣).

وفي طليعة من استقصى وتتبع ما قاله الجرجاني والزمخشري فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، وأبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، وعلى يديهما دخلت الكناية مرحلة جديدة في الدراسة هي مرحلة التبويب المنطقي والتنظيم والتعريف.

لخص الفخر الرازي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في فصول ثلاثة تحدث فيها عن الكناية (١). خصص الفصل الأول للكلام في حقيقة الكناية، والفصل الثاني في أن الكناية

(١) الكشف: ١ / ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) نفسه: ١ / ٣٧٢-٣٧٣.

(٣) البلاغة تطور وتاريخ، ص ٢٦٥.

ليست من المجاز، والفصل الثالث في ترجيح الكناية على التصريح وترجيح الاستعارة على التصريح بالتشبيه.

أوضح الفصل الأول حقيقة الكناية بقوله: "إن اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلو أما أن يكون معناها مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي، وإما أن لا يكون كذلك. فالأول هو الكناية. والثاني هو المجاز" (١).

وأوضح في الفصل الثاني أن الكناية ليست من المجاز، فقال: "وبيانه أن الكناية عبارة عن أن تذكر وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معديراً وإذا كان معديراً فما نقلت اللفظة عن موضوعها، فلا يكون مجازاً" (٢). ثم يوضح ما قاله بقوله: "مثاله إذا قلت: كثير الرماد فأنت تريد أن تجعل حقيقة كثرة الرماد دليلاً على كونه جواداً فأنت قد استعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية ولكن غرضك في إعادة كونه كثير الرماد معنى ثانٍ يلزم الأول وهو الجود، وإذا وجب في الكناية اعتبار معانيها الأصلية لم تكن مجازاً أصلاً" (٣).

وأوضح في الفصل الثالث ما ذهب إليه عبد القاهر في تعليل بلاغة الكناية، وترجيحها على التصريح، فقال: "فاعلم أن السبب في كون الكناية أبلغ من الإفصاح هو أن الكناية ذكر الشيء بوساطة ذكر لوازمه ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم، ومعلوم أن ذكر الشيء مع دليله أوقع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله فلأجل ذلك كانت الكناية أبلغ" (٤). وهو يصف هذا الرأي الذي نقله عن عبد القاهر لوجهين:

"الأول: أنك إذا قلت: فلان طويل النجاد فطول النجاد مشكوك فيه كما أن طول القامة مشكوك فيه، وليس أحدهما أظهر عند العقل من الآخر حتى يستدل بالأعراف على الأخفى اللهم إلا إذا جعلنا الطريق إلى معرفة طول النجاد الحس، ولكنه أيضاً كان في معرفة طول القامة، فظهر ضعف هذه العلة.

(١) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، ص ١٣٥-١٣٧.

(٢) نفسه، ص ١٣٥.

(٣) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، ص ١٣٦.

(٤) نفسه، ص ١٣٦.

(٥) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، ص ١٣٧. وللمقارنة، ينظر: دلالات الإعجاز، ص ١١٠ - ١١١.

الثاني: وهو أن الاستدلال باللازم على الملزوم طريقة باطلة، فإن الحيلة لازمة للعلم، ولا يمكن الاستدلال بوجود الحياة على وجوده، فبطل ما قاله " (١) وبذلك ينقل الرازي فن الكناية من ميدانه البلاغي إلى الحجاج المنطقي، والاحتكام إلى العقل، وإقحام اللازم والمعلوم، نون أن يشير إلى موضع المزية في التعبير الكنايني والاستعاري من التصريح به.

" أن اللزوم الذي أبرزه الرازي كان له أثره غير الحميد، في توجيه دراسة هذا اللون من ألوان التعبير وجهة منطقية، أضرت به أكثر مما أفادته، إذ شغل الدارسون بعده باللازم والملزوم، وتعدّر الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ما لم يكن اللازم ملزوماً بنفسه، أو باتضمام قرينة إليه، لجواز أن يكون اللازم أعم، ولا دلالة للعام على الخاص. فضلاً عما قيل فيهما، من أنهما عقليان أو عرفيان، وعنى هذا الجدل العقيم على الناحية الفنية في هذا اللون من التعبير الفني الرائع " (٢).

أما السكاكي فقد عرّف الكناية بقوله: " الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد لينقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة " (٣).

إن الكناية عنده مبنية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، والمطلوب بالكناية لا يخرج عن أقسام ثلاثة:

- الكناية المطلوب بها نفس الموصوف.

- الكناية المطلوب بها نفس الصفة.

- الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف.

وهذه الأقسام قد ذكرها الجرجاني والزمخشري من قبله، فالجرجاني ذكر الكناية عن صفة والكناية عن نسبة (تخصيص الصفة بالموصوف)، وأضاف الزمخشري إليهما الكناية عن موصوف، إلا أن السكاكي نظم هذه الأقسام وقسمها تقسيمات أخرى وقسمها من جهة أخرى إلى قريبة وبعيدة وحاول تقنينها وتعريفها.

(١) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، ص ١٣٧.

(٢) الكناية ، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) مفتاح العلوم ، ص ١٨٩.

ففي القسم الأول: في الكناية المطلوب بها نفس الموصوف، تقرب الكناية تارة وتبعد أخرى. وعرف القرينية بقوله: "هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض، فنذكرها متوصلاً بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: جاء المضيف، وتريد زيدا، لعارض اختصاص للمضيف يزيد" (١). وعرف البعيدة بقوله: "هي أن تتكلف اختصاصها بأن تضم إلى لازم آخر وآخر فتتلفق مجموعاً وصفاً مانعاً عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه، مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان، حي مستوى القائمة، عريض الأظفار" (٢).

أما القسم الثاني: في الكناية المطلوب بها نفس الصفة، الكناية فيه أيضاً تقرب تارة وتبعد تارة، وعرف القرينية بقوله: "هي أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه، مثل أن تقول: فلان طويل نجاهه، أو طويل التجاد، متوصلاً به إلى طول قامته، أو مثل أن تقول: فلان كثير أضيافه، أو كثير الأضياف، متوصلاً به إلى أنه مضياقوان هذا النوع القريب تارة يكون واضحاً كما في المثالين المذكورين، وتارة خفياً كما في قولهم: عريض القفا، كناية عن الأبله، وفي قولهم: عريض الوسادة عن هذه الكناية" (٣). يريد (البه) وعرف البعيدة بقوله: "فهي أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة مثل لأن تقول: كثير الرماد، فننتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر ومن كثرة إحراق الحطب تحت القنور، ومن كثرة إحراق الحطب إلى كثرة الطيائح، ومن كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيقان، ثم من كثرة الضيقان إلى أنه مضياق، فانظر بين الكناية وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم" (٤).

أما القسم الثالث: في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف: "فهي أيضاً تتفاوت في اللطف، فتارة تكون لطيفة، وأخرى لطف واللطيف قول زياد الأعجم:
إن السباحة والمروءة والندي في قبة ضربت على ابن الخشرج
والطف منتته قول الشنفرى الأزدي في وصف امرأة بالعبقة:
يببب بمنجاة من الوم بيئها إذا ما بيوت بالملامة خلّت (٥)

(١) مفتاح العلوم، ص ١٩٠.

(٢) نفسه، ص ١٩٠.

(٣) نفسه، ص ١٩٠.

(٤) نفسه، ص ١٩٠-١٩١.

(٥) مفتاح العلوم، ص ١٩٢-١٩٣.

وأشار السكاكي إلى فنون الكناية كالرمز والإشارة والتلويح والإيماء والتعريض،

قال: "ثم أن الكناية تنقلوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، ومساق الحنيث يحسر لك اللثام عن ذلك" (١).

وما ذكره السكاكي من تقسيمات للكناية وما يتعلّق بها من فنون وقف عندها المتأخرون ولم يخرجوا عنها أو يضيفوا إليها، ودخلت البلاغة عهداً جديداً امتلأ بالشروح والتلخيص، وأشهر التلخيصات، كتاب (التلخيص) للخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ)، لخص فيه كتاب (المفتاح) للسكاكي.

وقد عرّف القزويني الكناية فيه، بقوله: "الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه" (٢). وفي كتابه الآخر (الإيضاح) عرّفها أيضاً بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذٍ" (٣).

فهو يفرّق بين الكناية والمجاز من جهة ارادة المعنى الحقيقي، فالكناية يجوز فيها ارادة المعنى الحقيقي، أما المجاز فإنه لا يجوز فيه ارادة المعنى الحقيقي، وبذلك نفرّق الكناية عن المجاز.

وقسم القزويني الكناية ثلاثة أقسام، كما قسمها السكاكي وهي:

- ١ - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة (٤).
- ٢ - المطلوب بها صفة، وتنقسم إلى قريبة وبعيدة وواضحة وخفية (٥).
- ٣ - المطلوب بها نسبة (٦).

ثم أن الكناية تدلّون كما هي عند السكاكي إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة.

وامتازت الكناية في (تلخيصه) بالافتضاب، والجفاف من الشواهد والأمثلة على خلاف ما عرضه في كتابه (الإيضاح) لفن الكناية، فقد امتلأت بالتنظيم وإيراد الشواهد

(١) مفتاح العلوم، ص ١٩٠، وللإستزادة، ينظر: ابن رشيق في: العمدة، من هذه الفنون الكنائية: ٣٠٢ / ١ وما ذكر منها بعده.
(٢) التلخيص، ص ٣٣٧.
(٣) الإيضاح: ٢ / ٤٥٦.
(٤) نفسه: ٢ / ٤٥٧.
(٥) نفسه: ٢ / ٤٥٨.
(٦) الإيضاح: ٢ / ٤٦٢.

وشرحها، وهذا أمر وارد في التلخيصات، وكتاب (التلخيص) كما هو معروف، لخص كتاب (الإيضاح)، ومن الشواهد القرآنية التي عرض لها قوله - تعالى -: ﴿ وَكَاسَتْهُمُ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١) قال فيها: "أي ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعض يده غمًا، فتصير يده مسقوطة فيها، لأن فاه قد وقع فيها" (٢)

ولم يخرج الذين اتبعوا القزويني في منهجه في الدرس البلاغي، وبخاصة فيما يتعلق بالكناية إلى غير ما ذهب إليه مما يلفت انتباه الباحث. ومن هؤلاء بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)^(٣) وسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ)^(٤) وأبو يعقوب المغربي (ت ١١١٠ هـ)^(٥) وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠ هـ)^(٦)

وإذا كان القزويني يمثل امتداداً للأسكاكي في منهج الدرس البلاغي العلمي ربما بحكم تلخيصه لمفتاحه، فإن ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، والعلوي (ت ٧٤٩ هـ)، يمثلان الامتداد الحق لعبد القاهر الجرجاني في منهج الدرس البلاغي الأدبي القائم على الذوق والتحليل والتعريف الموجز والاقبال من التقسيم والمصطلح العلمي. ولذلك أرجأنا الحديث عنهما إلى هذا الموضع وجعلناهما في صعيد واحد.

فأما ابن الأثير فإنه يقدم دراسة بلاغية وأقية لأسلوب الكناية، يقول د. أحمد مطلوب واصفاً دراسة ابن الأثير للكناية: "ولعل ما كتبه ابن الأثير في (الجامع الكبير) و (المثل السائر) يغني الباحث في هذا الموضوع، فقد جعل لهذا الفن روحاً، وبحث فيه حياة، فإذا بالكناية صور متحركة، وإذا بالأمثلة توحى بكل بنيع عجيب، وليت المتأخرين استفادوا مما ذكره ابن الأثير"^(٧)

(١) سورة الأعراف، من الآية: ١٤٩.

(٢) الإيضاح: ٤ / ٤٦١.

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص: ٤ / ٢٣٧ وما بعدها.

(٤) المختصر على تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص: ٤ / ٢٣٧ وما بعدها.

(٥) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص: ٤ / ٢٣٧ وما بعدها.

(٦) أنوار الربيع في أنواع البيع: ٥ / ٣١٦-٣٠٩.

(٧) القزويني وشروح التلخيص، ص ٤٢٠.

أشار ابن الأثير إلى خلط كثير من البلاغيين بين الكناية والتعريض، وبدأ بالكناية وقال أنها حُذت: "باللفظ الدال على الشيء، على غير الوضع الحقيقي، بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه" (١).

وقال بفساد هذا التعريف، لأنه يمكن أن يكون حِداً للتشبيه كذلك. ونقل ما ذهب إليه علماء أصول الفقه من أنها: "اللفظ المحتمل" (٢). وقال: أنهم يريدون به اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وخلافه. وأشار إلى فساده أيضاً، لأن كل كناية لفظ محتمل، وليس كل لفظ محتمل كناية.

وحدّ الكناية الجامع لها عنده هو: "أنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حملة على جانبي الحقيقة والمجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز" (٣). وقال أن الكناية مشتقة من الستر، يقال: كنيت عن الشيء إذا سترته، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يُستر فيها المجاز بالحقيقة، فتكون دالة على الستر وعلى المستور معاً. "ألا ترى إلى قوله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ تَسْمَعْ النِّسَاءَ﴾ فإنه إن حُمِلَ على الجماع كان كناية، لأنه ستر الجماع بلفظ اللامس الذي حقيقته مصافحة الجسد الجسد، وإن حُمِلَ على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة، ولم يكن كناية، وكلاهما يتم به المعنى" (٤).

وابن الأثير يرى الكناية جزءاً من الاستعارة، لأنها لا تكون إلا بطي المكنى عنه، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام، فكل كناية استعارة، وليس كل استعارة كناية. ويفرق بينهما من وجه آخر، فيقول: "الاستعارة لفظها صريح، والصريح هو ما دلّ عليه ظاهر لفظه، والكناية ضد الصريح، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ، وهذه ثلاثة فروق أحدها: الخصوص والعموم، والآخر الصريح، والآخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز" (٥).

وأورد تقسيم البلاغيين للكناية أقساماً ثلاثة فقال: "وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة: تمثيلاً، وإردافاً، ومجاورة" (٦).

(١) المثل السائر: ٣ / ٥٠.

(٢) نفسه: ٣ / ٥١.

(٣) نفسه: ٣ / ٥٢.

(٤) نفسه: ٣ / ٥٣.

(٥) نفسه: ٣ / ٥٥.

(٦) المثل السائر: ٣ / ٥٨. وينظر: الجامع الكبير، ص ٢٥٧.

وفصل القول في كل قسم مبيّناً المقصود منه، ثم انتهى إلى أنه تقسيم ليس بصحيح " لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصاً بصفة خاصة، تفصله عن عموم الأصل " (١). وذلك لأن الكنايات عنده كلها تمثيل " فإن التمثيل عبارة عن مجموع الكناية، لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك اللفظ مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه " (٢).

والتمثيل في الكناية يتضح في التركيب، ويقال في المفرد، قال: " ألا ترى إلى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ مَثَلَنَا لَخَلْقٌ لَّعَلَّكُمْ تَعْتَبُونَ﴾ وَنَحْنُ نَجْمَةٌ وَنَحْنُ نَجْمَةٌ ﴿﴾ فإنه أراد الإشارة إلى النساء، فوضع لفظاً لمعنى آخر، وهو النعاج، ثم مثل به النساء. وهكذا يجري الحكم في جميع ما يأتي من الكنايات، لكن منها ما يتضح التمثيل فيه،.. ومنه ما يكون دون ذلك في الشبيهة " (٣). ثم قال: " فوجدت الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب، كانت شديدة المناسبة واضحة الشبيهة، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشباهة " (٤).

ثم يعقد مقارنة بين الكناية المركبة والكناية المفردة لتوضيح ذلك، فيقول: " ألا ترى إلى قولهم (فلان ذكي الثوب) وقولهم (الأمس) كناية عن الجماع، فإن ذكاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبيهاً، لأننا إذا قلنا: ذكاء الثوب من الدنس كنزاً همة العرض من الديوب أتضح المشابهة، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة، وإذا قلنا: (الأمس كالجماع) لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة. وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيلاً وهو كذا وكذا، غير صالح ولا وارد، بل الكناية كلها هي ذاك " (٥).

ويعرف ابن الأثير التعريض بقوله: " اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي، ولا المجازي، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنني لمحتاج، وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد أذاني، فإن هذا وأشباهه

(١) المثل السابق: ٥٩ / ٣.

(٢) المثل السابق: ٥٩ / ٣. وللمقارنة، ينظر: نقد الشعر، ص ١٥٩-١٦٠.

(٣) نفسه: ٥٩ / ٣.

(٤) نفسه: ٥٩ / ٣.

(٥) نفسه: ٥٩ / ٣.

تعريض بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازاً، إنما دلّ عليه من طريق المفهوم، بخلاف دلالة اللمس على الجماع " (١).

ويقول: " والتعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وإنما سُيى التعريض تعريضاً لأن السعى فيه يُفهم من عرضه أي من جانب، وعرض كل شيء جانبه، والكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، وأما التعريض فبِهِ يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة " (٢).

ومن الكنايات القرآنية التي أوردها قوله - تعالى - **﴿لَا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** (٣)، قال: " فبِهِ كنى عن الغيبة يأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتاً، ثم جعل ما هو في الغيبة من الكراهة موصولاً بالمحبة، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصّدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله " (٤).

ثم يوضح المناسبات في الدلالات بين المكنى به والمكنى عنه في المواضع الأربعة التي عقدتها الآية، أي يبحث عن الوصف الجامع في الدلالات، قال: " فإما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً، لأن الغيبة، إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغبته، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة، وأما جعله كالحم الأخ لما في الغيبة من الكراهة، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، إمران بتركها واليعد عذاباً، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهيتها، وأما جعل اللحم ميتاً فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها. وأما جعله ما هو في الغيبة من الكراهة موصولاً بالمحبة، فلما جُبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها " (٥).

(١) نفسه: ٥٦ / ٣.
(٢) المثل السائر: ٥٧ / ٣. وينظر: حقائق الزهر والرياحان في البيان عن بلاغات التبيان، محمد أمين الخطيب العمري، ص ٣١.
(٣) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.
(٤) المثل السائر: ٦٢ / ٣.
(٥) نفسه: ٦٢ / ٣.

فهو يشترط المناسبات في الدلالات في الأسلوب الكناثي، فإذا لم يجد المناسبة والوصف الجامع بين المكنى به والمكنى عنه لم يعد التعبير كنادياً. قال: "أنه لابد من الوصف الجامع بينهما لتلا بلحق بالكناية ما ليس منها، ألا ترى إلى قوله - تعالى - ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِجْمَةً وَفِي يَمِينِهِ وَاحِدَةٌ﴾ فكنى بذلك عن الدساء، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث من أجل ذلك لم يُلْتَفَت إلى تأويل من تأول قوله - تعالى - ﴿وَبَيْنَكَ فَلَسْرٌ﴾ أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحاً" (١). وجعل من الكنايات القرآنية قوله - تعالى -:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ (٢). وذلك لوجود المناسبة والوصف الجامع، وحمل اللفظ على جانبي الحقيقة والمجاز، فقال: "هذه الآية من باب الكنايات التي لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز. وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يحققون أمر الكناية، وإذا سئلوا عنها عتروا عنها بالمجاز، وليس الأمر كذلك، وبينهما وصف جامع، كهذه الآية وما جرى مجراها، فإنه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم، وكذلك حمل الأودية على سهابط الأرض وعلى القلوب، وهكذا يجوز حمل الزبد على الغشاء الرابي الذي تقذفه السيول، وعلى الضلال، وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معاً سوى الكناية" (٣).

وقال في قوله - تعالى - ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَرَكَاتِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْكُوهَا﴾ (٤). والأرض التي لم يَطْكُوها كناية عن مناحج النساء، وذلك من حسن الكناية ونادره" (٥). وقد تتبع ابن الأثير أساليب الكناية في القرآن والشعر والنثر المركبة منها والمقردة، وامتازت تحليلاته لها بالحيوية والعمق.

وأما العلوي (ت ٧٤٩ هـ) فهو يفيد من دراسة الكناية عند الجر جاني وعند ابن الأثير بخاصة، فيعد لها دراسة بلاغية أدبية امتازت بالعمق في صورة منظمة تعتمد التقسيم والتبويب. وهو يناقش فيها كثيراً من التعاريف للكناية وبخاصة تعريف الجر جاني وتعريف ابن الأثير، ثم ينتهي بعد المناقشة إلى تعريف الكناية بقوله: "فالمختار عندنا في

(١) المثل السائر: ٣ / ٥٢.

(٢) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

(٣) المثل السائر: ٣ / ٦٣.

(٤) سورة الأحزاب، من الآية: ٢٧.

(٥) المثل السائر: ٣ / ٦٣.

بيان ماهية الكناية، أن يُقال: هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين، حقيقة ومجاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح ^(١)، ثم يفسر تعريفه بقوله: "ولنفسر مرادنا بهذه القيود، فقولنا: اللفظ الدال يحترز به عن التعريض، فإنه ليس مدلولاً عليه بلفظ، وإنما هو مفهوم من جهة الإشارة والفحوى قولنا على معنيين، يُحترز به عما يدل على معنى واحد، وقولنا حقيقة ومجاز، يحترز به عن اللفظ المشترك، فإن دلالاته على ما يدل عليه من المعاني على جهة الحقيقة لا غير، وقولنا من غير واسطة، يحترز به عن التشبيه، فإنه لا بد فيه من أداة التشبيه، إما ظاهرة كقولك: زيد كالأسد، وإما مضمرة كقولك: زيد البحر، وقولنا على جهة التصريح، يحترز به عن الاستعارة، فإن دلالتها على ما تدل عليه من جهة صريحها، إما من غير قرينة، كدلالة الأسد على الحيوان، وإما مع القرينة كدلالة الأسد على الشجاع، فكلاهما مفهوم من جهة التصريح، بخلاف الكناية فإن الجماع ليس صريحاً من قوله - تعالى -: ﴿فَأَنذَرْتَكُمْ﴾ وإما هو مفهوم على جهة التبع كما دلّت عليه بحقيقتها ^(٢).

والكناية عند العلوي هي من المجاز، لأن المقصود منها هو المعنى المكنى عنه، وليس المقصود هو المعنى الحقيقي للفظ، قال: "أن الكناية قد دلّت على معناها اللغوي الذي وُضعت من أجله، فيعد ذلك لا يخلو حالها، إما أن تدل على معنى مخالف لما دلّت عليه بالوضع أم لا، فإن لم تدل فلا معنى للكناية، وإن دلّت عليه وجب القول بكونه مجازاً، لما كان مخالفاً لما دلّت عليه بالوضع ^(٣)".

وقسم العلوي الكناية إلى ثلاثة أقسام باعتبار ذاتها، وباعتبار حالها، وباعتبار حكمها. فالقسم الأول: باعتبار ذاتها تنقسم لديه إلى مفردة، ومركبة. فأما المفردة: "فهي ما كانت الكناية حاصلة في اللفظة الواحدة، وهذا كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ مَثَلَنَا لَبِئْسَ لَكُم بِمُتَّبِعِينَ﴾ فإنّ الكناية حاصلة في اللفظة الواحدة، وهذا كقوله - تعالى -: ﴿وَلِيَّ نَجْمَةٍ وَاحِدَةٍ﴾ فالمراد بالنعجة في كلا الموضعين المرأة، وإنما كنى بالنعجة عن المرأة لما بينهما من الملاءمة في التذلل والضعف والرحمة وكثرة التألف، وكقوله - تعالى -:

(١) الطراز: ١ / ٣٧٣.

(٢) الطراز: ١ / ٣٧٤، ٣٧٣.

(٣) نفسه: ١ / ٣٧٥ - ٣٧٦.

﴿أَوَلَمْ نَسْمَعْ الْإِنْسَانَ﴾ فإنه كناية عن الجماع " (١) - وأما المركبة " فهي أكثر ورود الكناية عليها، كقولك: (الكرم في برّذنيه، والمجدد بين توبيّيه، والعفاف في عطفيه)، هذا في المدح، وفي الذم: (إنّه لعريض الوساد) " (٢)

ثم يوازن بين النوعين (المفردة والمركبة) بقوله: " فإذا وردت على طريقة التركيب كانت أشد ملاءمة، وأعظم بلاغة، وإذا وردت على صورة الافراد لم يكن لها تلك المزية التي حصلت للمركبة، ومثاله أنك إذا قلت في الكناية المركبة: فلان ذقي الثوب، وأردت إيراده على صورة المشابهة، فإنك تقول: هو في نزاهة العرض من العيوب كنزاهة الثوب من الأدناس، فإذا حصل على هذا التأليف اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة وظهر أمر الكناية، وإذا قلت في الكناية المفردة: اللبس في الجماع لم تكن في تلك الدرجة من المناسبة وقوة المشابهة " (٣)

والقسم الثاني: باعتبار حالها تنقسم إلى قريبة وبعيدة. والقريبة هي: " ما يكون الانتقال إلى المطلوب بقرب اللوازم.. ومثالها: (بعيدة مهوى القُرط) فإنه كناية عن طول عنقها، وهذا حاصل على القرب من غير اعتبار واسطة " (٤) - وأما البعيدة: فهي " ما يكون الانتقال إلى مطلوبها من لازم أبعد منه، مثالها، (فلان كثير الرماد) فهذه تكثر فيها الوسائط، لأنك تنتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الجمر، ثم إلى كثرة الإحراق تحت القدر، ثم إلى كثرة الطيائح، ثم إلى كثرة الأكلين، ثم إلى كثرة الأضياف، ثم إلى كونه مضيقاً " (٥).

أما القسم الثالث: باعتبار حكمها فإنها تنقسم إلى حسنة وقبيحة. فالحسنة كقول أعرابية تصف زوجها: (إنه إبلٌ قليلات المسارح، كذيرات المبارك، إذا سمعن صوت المزهر أيقنّ أنّهنّ هو لك) (٦) والقبيحة ما تخلو من الفائدة المرادة من الكناية، وهو عيب عند أهل البلاغة، من ذلك قول أبي الطيب المتنبّي:

إني على شغفي بما في خمرها لأعفّ عما في سراويلاتها (٧)

(١) نفسه: ١ / ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢) نفسه: ١ / ٤٢٩.

(٣) الطراز: ١ / ٤٣٠. وينظر: المثل السائر: ٣ / ٥٩ للمقارنة.

(٤) نفسه: ١ / ٤٣٠. وللمقارنة، ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٥) نفسه: ١ / ٤٣١. وللمقارنة، ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٦) نفسه: ١ / ٤٣٢.

(٧) نفسه: ١ / ٤٣٢ - ٤٣٣.

إذ إن (خمرها وسراويلاتها) فقدت غرض الاستر والاخفاء وقربت من التصريح بالمعنى.

ويورد العلوي كثيراً من أمثلة الكناية من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام علي أمير المؤمنين عليه السلام، وكلام البلغاء، والكنائيات الشعرية، وحفل كل نوع من هذه الأنواع الخمسة بعدد وافر من الشواهد.

ومن الكنائيات القرآنية التي أوردها قوله - تعالى - ﴿يَحْيَىٰ أَحَدُكُمْ أَنَّ يَأْكُلَ لَعَنَ أَخِيهِ مِمَّا فَاكَّرَهُهُ﴾ ، وقوله - تعالى - ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا...﴾. وهو لا يكاد يخرج في تفسيره لهذه الكنائيات القرآنية عما قاله ابن الأثير من قيل (١).

والعلوي يفرق بين الكناية والتعريض، والفروق بينهما تظهر من أوجه ثلاثة:
الوجه الأول: الكناية واقعة في المجاز، بخلاف التعريض فلا يعد من المجاز.
الوجه الثاني: الكناية تقع في المفرد والمركب، والتعريض لا يقع إلا في اللفظ المركب.

الوجه الثالث: التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق المجاز، بخلاف التعريض، فإن دلالاته من جهة القرينة والإشارة (٢).

ولم يضيف الذين جاءوا من بعده إلى فن الكناية إضافات جوهرية، بل الملاحظ عليهم النقل من عبد القاهر الجرجاني والزمخشري وابن الأثير وغيرهم من علماء البلاغة والبيان.

ومن هؤلاء ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) (٣)، وبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) (٤)، وابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) (٥)، والسيوطي (ت ٩١١هـ) (٦)، وابن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) (٧).

(١) الطراز: ١ / ٤٠٠ - ٤٠٧. وينظر للمقارنة: المثل المستر: ٣ / ٦٢ - ٦٣.

(٢) الطراز: ١ / ٣٩٧ - ٣٩٨. وقارن بين الأثير، المثل المستر: ٣ / ٥٦ - ٥٧.

(٣) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ص ١٢٦ وما بعدها.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١.

(٥) ينظر: الخزانة، ص ٣٥٩ - ٣٦١.

(٦) ينظر: الالتفات في علوم القرآن: ٣ / ١٤٣ - ١٤٨.

(٧) ينظر: أنوار المربع في أنواع البديع: ٥ / ٣١٦ - ٣١٧.

ولاً نجائب الحقيقة إذا قلنا إن المحدثين والمعاصرين من البلاغيين^(٢) لم يخالفوا ما انتهى إليه البلاغيون المتأخرون خلافاً جوهرياً في دائرة فن الكناية وإن كان لكل منهم ملاحظته وطريقة تناوله لهذا الفن البياني^(٣)

الكناية بين الحقيقة والمجاز:

أكثر علماء البيان على مذهب أن الكناية من المجاز^(٤) لأن اللفظ المستعمل لا يراد منه معناه الحقيقي.

قال ابن الأثير: "وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز وعلى ذلك تكون نسبة جزء الجزء، وخاص الخاص^(٥) ولما كانت الكناية عند نسبتها للاستعارة نسبة جزء الجزء وخاص الخاص، فهي من المجاز، إلا أن مجازيتها تختلف عن مجازية الاستعارة وتفرق عنها بالقرينة، القرينة مع الاستعارة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، فالاستعارة صريحة في مجازيتها.

أما الكناية فلا مانع يمنع من إيراد المعنى الحقيقي مع المعنى المكنى عنه المجازي، والمعنى المكنى عنه في الكناية هو المستور وهو المجاز. يقول ابن الأثير: "فإن المستور هنا - يقصد الكناية - هو المجاز، لأن الحقيقة تفهم أولاً ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز، لأن دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية، وأما المجاز فإنه يفهم بعد فهم الحقيقة، إذما يفهم بالنظر والفكرة"^(٦)

وذهب العلوي إلى ما ذهب إليه ابن الأثير^(٧) ورأى بعضهم أنها ليست من المجاز لأنك تعتبر في ألفاظ الكناية معانيها الأصلية، ثم يفيد بمعانيها معنى ثانياً هو المقصود. نرى هذا عند فخر الدين الرازي، يقول: "الكناية عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى

(*) ينظر مثلاً: علم البيان، د. بدوي طبانة، ص ٢٣٤ وما بعدها. وينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. حسن البصير، ص ٣٦٧ وما بعدها. وينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د. كامل حسن البصير، ص ٣٢٨ وما بعدها. وينظر: التصوير البياني، د. حفني محمد شرف، ص ٢٢١ وما بعدها. وينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص ٣٤٥ وما بعدها. وينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين، ص ١٢٣ وما بعدها.

(١) ينظر: الكناية، د. محمد جابر فياض، ص ١٩٧.

(٢) الطراز: ١ / ٣٧٥.

(٣) المثل السائر: ٣ / ٥٥.

(٤) نفسه: ٣ / ٥٤.

(٥) الطراز: ١ / ٣٧٦ وما بعدها.

ثانياً هو المقصود، وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتبراً، وإذا كان معتبراً فما نقلت اللفظة عن موضوعها فلا يكون مجازاً " (١). أي أن المعنى الثاني هو " معنى المعنى " كما يسميه الجرجاني (٢) الذي يفيد اللفظ الكناني ليس بمجاز، لأن المعنى الأصلي هو دليل يقود إليه فبينهما تلازم وارتباط، وبذلك نحن نستعمل الألفاظ في معانيها الأصلية.

ويُفهم من كلام السكاكي أن الكناية حقيقة، قال: "واعلم أن التعريض ثارة يكون على سبيل الكناية وأخرى على سبيل المجاز، فإذا قلت: أدبني فستعرف، وأردت المخاطب وسع المخاطب انساناً آخر معتمداً على قرآن الأحوال كان من القبيل الأول، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القبيل الثاني " (٣).

فالكناية عنده ليست مجازاً، وأن التعريض هو لون من ألوان الكناية، أو طريق من طرقها، ويكون أحياناً مجازاً على خلاف الكناية، كما مثل له في قوله " أدبني فستعرف " إذا كان المقصود غير المعنى الحقيقي الذي يمثله (المخاطب) وإذا المقصود من هو مع المخاطب بإمالة الكلام إليه.

وقال الخطيب القزويني: " فرّق السكاكي وغيره بوجه آخر وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من الملزوم إلى اللازم " (٤).

وفرّق الخطيب بين الكناية والمجاز من جهة إرادة المعنى الحقيقي ولازمه، ولا يجوز في المجاز ذلك، لأن " المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة، وملزوم معاندة الشيء معاندة لذلك الشيء " (٥).

والذي يميل إليه: هو أن الكناية تعبير مجازي (٦) لأنه من أساليب التعبير غير المباشرة، وإن كان ظاهر اللفظ يوحي بمعناه الحقيقي، إلا أن هذا المعنى الحقيقي ليس هو المقصود في الكناية، وإنما المقصود معنى آخر يخفي وراء ظاهر اللفظ ويرتبط به. وما دام المراد ليس هو معنى ظاهر اللفظ، فالأولى أن تكون الكناية من المجاز، كما أن هناك

(١) نهاية الإيجاز في تروية الإعجاز، ص ١٣٦. وينظر: نهاية الأرب، للشويفي: ٧ / ٦٠.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢٦٣.

(٣) مفتاح العلوم، ص ١٩٤. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٦٧.

(٤) الإيضاح: ٢ / ٤٥٦.

(٥) نفسه: ٢ / ٤٥٦.

(٦) ينظر: البلاغة العربية، المعاني والبيان والبدیع، د. أحمد مطلوب، ص ٢٣٨.

الوأناً من الكناية يتعدّر فهم معناها الحقيقي أو إيرادها، يتّضح ذلك بخاصة مع الكناية بالتمثيل.

الفرق بين الكناية والتعريض:

لاحظنا فيما عرضناه من أسلوب الكناية عند البلاغيين جمع الكناية مع التعريض عند أغلبهم كأنهما أسلوب واحد أو أنهما لفظان مترادفان (١). ولعل سبب هذا التقارب وجمع الأسلوبين في صعيد واحد عائد إلى أن "دلالة الكناية كدلالة التعريض في أن كلاّ منهما لم يُصرّح فيه بالألفاظ الدالة على المعنى المقصود" (٢).

فالتعريض كالكناية في كونه لا يُراد به معناه الذي يدل عليه ظاهره، وإنما يُراد به معنى آخر يرتبط باللفظ الظاهر ويلزمه، إلا أن التلازم بين المعنيين في الكناية والتعريض مختلف، ففي الكناية أساسه العرف والعادة - في الأعم الأغلب - ولا يرتبط بموقف محدد أو سياق معين، على حين أن التلازم بين المعنيين في التعريض يذيع من الموقف الخاص الذي يُقال فيه الكلام (٣).

وفرق السكاكي بين الكناية والتعريض، وجعل التعريض جزءاً من الكناية وطريقة من طرقها (٤).

ووضع ابن الأثير الفروق الظاهرة بين الكناية والتعريض، فالتعريض عنده هو: "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم" (٥) - فقوله - تعالى - ﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلٰهِنَا يَا ابْنِ تِهْمِسَ ۖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَوَلَّوْهُمْ إِنَّ كَانُوا بِطُلُوتٍ ﴾ (٦) تصل دلالة إلى السامع من جهة المفهوم، لأن هدف إبراهيم عليه السلام إقامة الحجة والبرهان على قومه، بأن هؤلاء لا يضرّون ولا ينفعون فهم لا ينطقون، وأبسط مظاهر توقع الذفع أو الضر أن يعي الشيء، ويتكلم ليحقق ما يُريد، والحجر لا يعي ولا يتكلم فسلب حينئذ أبسط مظاهر

(١) ينظر مثلاً: كتاب الصناعيتين، ص ٣٦٨، والعمدة: ١ / ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) علم البيان، د. بدوي طبقة، ص ٢٥٦.

(٣) ينظر: التعبير النبائي، د. شفيع السيد، ص ١٥١.

(٤) ينظر: ص من:، وينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠، ١٩٤.

(٥) المثل السائر: ٣ / ٥٦.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢ و ٦٣.

الضر والنفع (١) وفي قوله - تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْتَدَّ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرْتَدَّ إِلَّكَ النَّفْسُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا بِكُمْ مُلْكًا لَكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَقْضُكُم كَذِبِينَ ﴾ (٢)، تعريض بأن الله لو أرسل بشراً رسولاً، لاختارنا دونك لأعدابات في مقابلتهم نقضي أحدهم الذبوة كما يتخيلون (٣) وفي قوله - تعالى: ﴿ صَرَبَكَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِينَ ﴾ (٤) في هذه الآية تعريض. قال الرمخشري: " وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأبي المؤمنين المذكورين في أول السورة (عائشة وحفصة) وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه، وتحذيرهما على أغلب وجهه واشدهوان لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ، فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين " (٥)

وبذلك تكون دلالة التعريض أخفى من دلالة الكناية، لأن دلالاته من جهة المفهوم، ودلالاتها لفظية وضعية من جهة المجاز، وقول ابن الأثير في ذلك وفي بيان الفروق الأخرى سبق ذكره (٦).

ومفهوم التعريض عند العلوي لا يختلف عن مفهومه عند ابن الأثير (٧) والذي ننتهي إليه أن التعريض لون من ألوان الكناية، أو طريقة متميزة من طرقها له خاصية فنية في التعبير عن المعنى إذا جاء في سياقه النابع من الموقف الخاص الذي يقال فيه الكلام. ويبرز التعريض في القرآن الكريم بخاصة بوصفه " أسلوباً مشرقاً من الأساليب النبائية يحتمل الأدب القرآني، وتدعو إليه لغته المهدية، تقويماً للخلق، وصيانة للنفس الانسانية من العبث والغيب والإثارة المؤذية " (٨).

(١) ينظر: المثل السائر: ٣ / ٧٢. وينظر: حقائق الزهر والرياحان في البيان عن بلاغات البيان، ص ٣٢. وأصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي الصغير، ص ١١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٣ / ٧٢، وأصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، ص ١١٩.

(٤) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٥) الكشف: ٤ / ٤٥٨.

(٦) ينظر: ص ٤٥ من: وينظر: المثل السائر: ٣ / ٥٧.

(٧) ينظر: الطراز: ١ / ٣٩٧، ٣٩٨.

(٨) أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، ص ١١٩.

معيّار الجودة في الكناية عند البلاغيين :

أجمع دارسو البلاغة على أن أسلوب الكناية هو أبلغ من الإفصاح، وأن التعريض أوقع من التصريح.

يقول عبد القاهر الجرجاني: " قد أجمع الجمع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح " (١).

ويقول الأسكاكي: " واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر فيصير حال الكناية كحال المجاز في كون الشيء معها مدعى ببيّنة ومع الإفصاح بالذكر مدعى لا ببيّنة " (٢).

وذهب السبكي أن الكناية " هي أبلغ من كل مجاز مرسل ويحتمل أن يقال أنها أبلغ من الاستعارة أيضاً " (٣).

وفي إطلاقهم بأن المجاز أبلغ من الحقيقة، والكناية أوقع من التصريح هكذا مجرداً من سياق، بجانب الحقيقة، إذ أن أبلغية أي أسلوب يحدده السياق الذي يتشكل فيه، فالأسلوب المجازي يكون أبلغ من الحقيقي إذا جاء في سياقه الذي يتطلبه، والحقيقي يكون أبلغ من المجازي في مقامه، فليس هناك أسلوب أبلغ من أسلوب مجرداً من سياق ومقتضى حال، فالسياق هو الذي يحدد أبلغية الأسلوب.

والملاحظ أن البلاغيين القدامى قد استندوا في تحديد أبلغية الأسلوب الكنائي إلى معيار دقيق واضح، بوصفه أسلوباً فنياً غير مباشر، يؤدي لفظه الصريح بمعناه إلى معنى ثانٍ يرتبط بالمعنى الأول ويلزمه، وفي هذا إثارة للذهن وحسن وقع في النفس وشدة تأثير في المخاطب بما يتمثله من لوازم حسية تجسد له المعنى المقصود.

وللو صول من المعاني الأول إلى المعاني الثانوي كما يُسميها الجرجاني (٤) يتم بوسائط، وفي ضوء هذه الوسائط من حيث قريتها أو بعدها، خلقها أو جلاوها كان تقويم البلاغيين لأسلوب الكناية.

(١) دلائل الإعجاز ، ص ١٠٩.

(٢) مفتاح العلوم ، ص ١٩٤-١٩٥. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٦٨.

(٣) عروس الأقراح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن شروح التلخيص: ٤ / ٢٧٧.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٣-٢٦٤.

وأول من أشار إلى هذه الوسائط هو قدامة بن جعفر في دراسته للكناية التي سماها (الأرداف). وقد استبعد قدامة من الأرداف من دائرة الشعر، لكونه غامضاً بسبب كثرة الوسائط وغموضها إلى الحد الذي يتعذر معه فهم معناه. قال: "ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني، وذلك إذا ذكر الرفع وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف آخر، كدأها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن داخلاً في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر وتعدّر العلم بمعناه" (١).

وأشار الجرجاني في تحليلاته لأسلوب الكناية إلى هذه الوسائط وجعل معيار الجودة فيها راجعاً إلى بيانها ووضوحها في الدلالة على المعنى المقصود، وجعل ذلك شرطاً من شروط البلاغة، قال: "إن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالته، مستقلاً بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخيل إليك أنك فهمته من حلق الألفاظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك" (٢).

فبلاغة الأسلوب الكناني تعتمد على النسج الداخلي الذي يربط بين المعنيين الأصلي والمقصود (٣) من حيث بعد الوسائط وقربها، وغموضها، ووضوحها.

ويتضح معيار الجودة في الأسلوب الكناني عند السكاكي في صورة واضحة منظّمة، إذ يجترح مصطلحات في ضوء الوسائط، ويقسم الكناية على ضوئها، فيقول: "سئى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك كنظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازمها في كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسباً لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو: عريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على

(١) نقد الشعر، ص ١٥٩.

(٢) دلائل الإعجاز، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٣) الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، ص ١١٣.

سبيل الخفية، وإن كانت لا مع نوع الخفاء كان اطلاق اسم الايماء والإشارة عليها مناسباً " (١)

وهذه المصطلحات التي ذكرها السكاكي من (تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة) قد تبناها البلاغيون بعده في دراستهم الكنائية، ومن ثم حددوا قوتها أو ضعفها، فقد استندت إلى معيار تابع من رؤية بلاغية تحدد بوضوح الصورة الكنائية ووظيفتها في التعبير غير المباشر عن المعاني.

وفي ضوء هذا الاستعراض التاريخي لمفهوم الكناية عند البلاغيين القدامى والمتأخرين يمكن استنتاج خلاصة وافية تحيط بتعريفها وأنواعها، ويمكن بوساطتها دراسة الكناية القرآنية بوصفها أسلوباً من أساليبه المتميزة لها خصائصها الفنية في التعبير والتصوير والتأثير.

تبيئت الخلاصة تعريف الكناية عند البلاغيين المتأخرين بأنه: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ.

وفي المنظور المعاصر هي لفظ أو صورة مذكورة على سبيل المجاز بديلة عن أخرى محذوفة، وهذه الصورة تعبر عن المعنى المراد بطريق الحقيقة والمسوغ لذلك أن الأولى لازمة لتحقيق الثانية، أي هي " ضرب من العدول عن لفظ يقرر معناه حقيقة وصراحة وإلتيان بلفظ آخر يؤدي هذا المعنى في شيء من التأول على أن تكون هناك علاقة لازمة بين اللفظين فيما يؤديه، لذلك فإن هذه العملية اللغوية تنتج لنا صورة بديلة لازمة لما عدل عنه وترك إلى سواه " (٢).

ومثال ذلك قولهم: " طويل التجاد " و " كثير الرمد " و " نؤوم الضحى " هي صور كنائية بديلة عن الرجل طويل القامة، وعن الرجل الكريم، وعن المرأة المترفة التي لها من يخدمها، وثمة فرق بين الصورة الكنائية وبين ما عدل عنه من معان حقيقة، فالصورة الكنائية هي تصوير للمعنى لا نلاحظه في المعنى الذي عدل عنه، فقولنا: (هذا رجل كريم) هو تعبير مباشر من غير تصوير فني، أما إذا عدلنا عن هذا اللفظ وقلنا " كثير الرمد " رسمنا صورة حسية مُشاهدة لصفة ذلك الرجل يصل فيها المعنى إلى المتلقي

(١) مفتاح العلوم ، ص ١٩٤.

(٢) بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، د. كامل حسن البصير ، ص ٣٢٨.

بتجسيد يخضع للمقايضة ويُفضي من ثم إلى التوكيد وقوة التأثير، وهذا الملحظ الفني في الكناية قد عبّر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "أما الكناية فإن السبب في أن كان للأدببات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم - إذا رجع إلى نفسه - أن أثبتت الصفة بأدببات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوة من أن دُجيء إليها فتثبّتها هكذا سادجاً غفلاً، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يُشكّ فيه ولا يظن بالمخبر التجوّز والغلط" (١).

ومثاله أيضاً قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (٢) فالآية الكريمة تنهى عن صفتين مذمومتين هما: البخل والتبذير. وقد عدل التعبير القرآني عن صفة (البخل) إلى التصوير الكنائي الفني ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، نرى فيه البخل وقد بدا ذراعه متجمداً وكفه مقبوضة في صورة محسوسة تتماثلها العين ويتحسسها الوجدان فهو مغلول اليد قد شنت إلى عنقه لا يبدر منه عمل يُنتفع به، ولا ينهى بمهمة يفيد منها الآخرون. فالصورة الكنائية بديلة عن حقيقة لازمة لصفة البخل، فهي صفة تنفّر الناس منه لما يرونه عليه عياناً ويحسونه فيه مشاهدة.

وعدل التعبير القرآني كذلك عن صفة (الاسراف) إلى الصورة الكنائية البديلة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ فإذا المسرف الباذخ يبسط يده غاية البسط ويلج على بسطها في عناء وعنت، فهو يُصوّر للناس في هذه الصورة البديلة واقع أمره واللازم لهذا الواقع، فيفهم المتلقون أنه بهذا يضرّ نفسه بعدم الإبقاء على شيء ينفعه ويجنّدي سواء (٣).

وبذلك يتجلى الفرق في التعبير عن الأفكار والمعاني بين الأسلوب الكنائي المصوّر الموحى بطريق إثارة الحواس والذهن والمخيّلة وبين التعبير الحقيقي المباشر الذي عدل عنه القرآن، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ونظر البلاغيون في طبيعة (المكنى عنه) الذي يتوارى خلف سحف الكناية فجعلوه ثلاثة أضرب وتبعاً لذلك قسموا الكناية إلى أنواع هي: الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة (٤).

(١) دلائل الإعجاز، ص ١١٠-١١١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٢٩.

(٣) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٣٣٠.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠ وما بعدها. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٥٧.

كما نظروا في السياق والوسائط التي توصلنا إلى المكنى عنه، فبنوا على ذلك خمسة أصرب هي: التعريض والتلويح والإيماء والإشارة والرمز (١).

وكل ما ذكرناه من هذه الأصرب هي صور بديلة لازمة للمعنى المقصود يتميز الواحد من الآخر بسمة لغوية وفنية في التعبير عن الأفكار والمعاني بحيوية وقوة تأثير في المتلقي (٢).

فالتعريض هو ضرب من الكناية، ويعتمد إدراك مفهومه على السياق، لذا فإن مدلوله خفي مستتر يهتدي إليه المتلقي ويكشفه من خلال ظرف القول ومناسبته وما إليهما من قرائن لا ينض بها البناء اللغوي مباشرة وإنما تنهادى في حدث تاريخي ومدعاة اجتماعي وعارض شخصي، ومع ذلك كله ينبغي أن تتوفر هذه القرائن لنأى يصل المتلقي ويتبين عن المراد من التعريض (٣)، وقد ورد (التعريض) في القرآن الكريم بكثرة ملحوظة تكشف أمثاله القرآنية عن طبيعته بوصفه ضرباً من ضروب الكناية.

أما التلويح فهو في اللغة أن تشير إلى غيرك من بعد (٤)، وفي الاصطلاح: هو الكناية التي بينها وبين المعنى المكنى عنه مسافة متباعدة وذلك بسبب كثرة الوسائط التي تتوسط بين اللفظ الكنائي وبين المعنى المكنى عنه المقصود (٥).

وأما الإشارة والإيماء فهما لفظان مترادفان يلتقيان لغة في أن تشير إلى قريب منك إشارة واضحة (٦)، وفي الاصطلاح هما الكناية التي قلت وسائطها مع وضوح المكنى عنه الذي تفضي إليه (٧).

أما الرمز فهو في اللغة أن تشير إلى قريب منك بنحو شفه أو حاجب (٨) وقيل أصل الرمز: "الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال الفراء: الرمز بالشفنتين خاصة (٩)، وقال ابن منظور: "الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٦٦.

(٢) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٣٢٤.

(٣) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٢ / ٥٨٦ (لوح).

(٥) ينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٦٦. وينظر: البلاغة والتطبيق، ص ٣٧٥.

(٦) ينظر: لسان العرب: ١ / ٢٠١ (وما) و: ٤ / ٤٣٦-٤٣٧ (شور).

(٧) مفتاح العلوم، ص ١٩٤. الإيضاح: ٢ / ٤٦٧، والبلاغة والتطبيق، ص ٣٧٧.

(٨) ينظر: أساس البلاغة، ص ١٢٧٨ (رمز)، الإيضاح: ٢ / ٤٦٦.

(٩) العمدة: ١ / ٣٠٦.

بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إيانة صوت، إنما هو إشارة بالشفتين " (١). فالرمز في لغة العرب على وجه الاجمال هو الإشارة، وفي كلامهم ما يدل على أنَّ الإشارة أو الرمز طريق من طرق الدلالة، فقد تصحب الكلام فتساعده على البيان والافصاح، لأن حسن الإشارة باليد أو الرأس من تمام حسن البيان كما يقول الجاحظ (٢). أو تنوب الإشارة عن الكلام فتستقل هي بالدلالة، أو أن الانسان يلجأ إلى الإشارة حين العجز عن الكلام كالذي جعله الله آية لذكرى (٣) على ما بشره به من الولد، لما دعا الله - تعالى - أن يجعل له آية على ذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا ذُرًأً (٤) ﴾ (٣).

والجاحظ أول أديب عربي اطلال في الكلام على الإشارة، وجعل الإشارة ضرورة للخطيب، لكنه لم يبالغ فيها (٤)، وتمتاز دلالة الإشارة بما يأتي:
- إنها سريعة قصيرة.

- غير مباشرة أي لا تفصح عن دلالتها إفصاحاً مباشراً، لأن الدلالة المباشرة تكون بطريق الألفاظ بحسب ما تدل عليه من معانيها اللغوية الوضعية.
- أن تكون خفية، والخفاء هو نتيجة الخاصيتين السابقتين، فهي لسرعتها وقصرها لا يفهمها إلا الفطن الذي يكون ذهنه مهياً لها، كما أنَّ الدلالة غير المباشرة بطبيعتها هي أقل وضوحاً من الدلالة التقريرية المباشرة (٥).

أما في الاصطلاح فقد أطلق البلاغيون المتأخرون (الرمز) على الكناية الرامزة وهي التي قُلت وسانطها إلى المكنى عنه مع خفاء (٦). وقد تناول البلاغيون أمثلة من التعبيرات العربية الموروثة شواهد عليها، منها قولهم: (عريض القفا) كناية عن البلادة (٧). فإن لزوم البلادة لعرض القفا لا يعرفه إلا القليل، وكذلك قولهم: عريض الوسادة، لينتقل منه

- (١) لسان العرب: ٥ / ٣٥٦ (رمز).
- (٢) البيان والتبيين: ٧٠/١. وينظر: الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي، ص ٤١-٤٤.
- (٣) سورة آل عمران، من الآية ٤١. وينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص ٤٢.
- (٤) ينظر: البيان والتبيين: ١ / ٦٩، ٧٠، ٧٧، ٧٨.
- (٥) ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص ٤٣.
- (٦) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٤. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٦٦، والبلاغة والتطبيق، ص ٣٧٦.
- (٧) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠. وينظر: الإيضاح: ٢ / ٤٥٨.

إلى عرض القفا، ثم إلى اليلادة، فالواسطة بين الكناية وما ترمز إليه شيء واحد، ولكنه لازم خفي^(١)، ومنها قولهم: (أملس الجلد) كناية عن الذي لم يُدَنَّ من بعار ولم تُصبه مثلبة حيث كان يُقال للرجل الذي لا يُلصق به دم هو أملس الجلد^(٢).

فالكناية الرامزة عند هؤلاء البلاغيين قد استوت تعبيراً لغوياً، لا يعسر تحديدها مفهومها ومدلولها كما لو كانت بناءً لغوياً متعارفاً عليه في تداوله والعدول به عن اللفظ المباشر الصريح^(٣). وحتى الشعراء الذي استخدموها أداة في التعبير والتصوير على الرغم من خفائها فإنها قريبة إلى ذهن المتلقي فيما تُشير إليه من معان وأفكار ولا تجهد في خفائها وغمو ضهاها، وما مثّل به البلاغيون للرمز قول أحد القدماء يصف امرأة قُتل زوجها ومُسيبت:

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ رَوْحِهَا عَذَّ الْحَصَى مَعَجَ أَوْ مَعَجَ جَنَحَ كُلِّ أَصِيلٍ
يريد اني لم اعطها عقلاً ولا قوياً بزواجها، إلا الهم الذي يدعوها إلى عذ الحصى.
وأصله من قول امرئ القيس:

ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعَدَّ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عِبْرَاتِي^(٤)
فالشاعر في حالة نفسية من القلق والهم والحزن، وقد رَمَزَ لحالته النفسية بوضع الرداء على الرأس، وعذ الحصى، وسيلان العبرات وهي بديلة عن عبارات صريحة مثل (أنا حزين أشاعل نفسي فلا تجدي مشاغلي فما أنفك أبكي). فما استعمله الشاعر من كُنَايَات رَامِزَةٍ عِلَالٍ رَغَمٍ مِنْ خَفَائِهَا فَإِنَّهَا قَرِيبَةٌ إِلَى الْمُتَلَقِّي فِيمَا تَرْمِزُ إِلَيْهِ لَا يَتَّيِّنُ فِي الإِغْرَابِ وَلَا يَضِلُّ عَنِ الْمَقْصُودِ، وبهذا المفهوم أصبح الرمز من الكُنَايَات الفنية بما فيها من طَاقَةِ إِيحَائِيَّةٍ قد تقرر بناؤها على وفق سنن العربية وما جرى به معجمها الاجتماعي الفني^(٥).

وأجلى خصائص الكناية الرامزة الإيجاز وغير المباشرة في التعبير عن المعنى، وبسبب هاتين الخاصيتين يلقبها الخفاء والغموض. والإيجاز وغير المباشرة هما الدعامتان

(١) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٩٠.

(٢) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٢٢٣.

(٣) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٢٢٤.

(٤) العمدة: ١ / ٣١٥. وينظر: البلاغة والتطبيق، ص ٣٧٦.

(٥) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص ٢٢٤.

الأساسيتان للرمزية في الأدب العربي^(١)، فالإيجاز يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء، لأنه يترك على أطراف المعنى ظلالاً خفيفة يشتغل بها ذهن، ويعمل فيها الخيال، حين تبرز وتتلون وتتسع، وتتسع إلى معان أخرى، يتحملها اللفظ بالتفسير أو التأويل^(٢). واما غير المباشرة في التعبير - الدعامة الثانية للرمزية العربية - فهي من خواص اللغة الأدبية بوجه عام. ومعنى هذه الخاصية: الخروج على أوضاع اللغة، لصلة من الشيء، أو لاية علاقة من التجوز^(٣). وقد سلك الأدب العربي إلى غير المباشرة في التعبير مسالك مختلفة أهملها: الكناية والمجاز، يقول عبد القاهر الجرجاني في "فصل في اللفظ يطلق والمراد غير ظاهره": "اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتقناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: "الكناية والمجاز"^(٤).

والغموض الناشئ عن هذين الخاصيتين هو غموض مستحسن ما دام سببه دقة الفكرة وعمقها، ويرجع عبد القاهر الجرجاني استحسنه لهذا الغموض الفني إلى طبيعة نفسية فيقول: "من المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجلاً وأطف، وكانت به أضن وأشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظما"^(٥). أما الغموض المفتعل الذي يكون نتيجة تعقيد الأسلوب وسوء ترتيب الكلام فهو غموض مذموم عند الجرجاني، لأنه يكثّر الذهن فيما لا طائل تحته، ويقول عبد القاهر: "والمعقد من الشعر والكلام لم يذمّ لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة، بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه، ويشيك إلى المعنى، ويوعر مذهيك نحوه. بل ربما قسم فكرك، وشعب ظنك، حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب"^(٦).

فالأصل في جمال الغموض في التعبير الأدبي عند العرب أن يكون مصدر طاقة إيحائية يترك على أطراف المعاني ظلالاً خفيفة تعمق المعنى وتلونه وتوسعه لا أن يكون

(١) ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص ٥٥، ٦٨.

(٢) دفاع عن البلاغة، ص ٩٩.

(٣) ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص ٥٥.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٠٥.

(٥) أسرار البلاغة، ص ١١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٢٦.

مغلّقاً يقف أمامه القارئ حائراً دهشاً - فلا جمال ولا فن - (١)، ومن ثم يمكن أن يلتقي مفهوم الرمز في المذهب الرمزي الغربي مع مفهوم الرمز في الأدب العربي في عدد من الخصائص الفنية، فكلاهما إيحائي بجوهره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية، بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس. وغاية الشاعر الرمزي الوصول إلى خلق حالة نفسية معينة في جو القصيدة.

ولما كانت اللغة العادية، التي لا تتعدى الشيء المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية الغامضة، لجأ الشاعر إلى الرمز لما فيه من طاقة إيحائية في التعبير عنها (٢). فالرمز هو استحضار لتجربة شعورية، يقول الناقد كينيث بيرك: إن الرمز هو المقابل اللفظي للتجربة الإنسانية المعاشة، ولذلك فهو يتميز بالقوة والحيوية والتدفق والتعقيد، ولا يعني التعقيد صعوبة إدراكه ولكنه يعني تعدد الأبعاد والجوانب، وهذا يمكن الرمز من أن يبرز الخط الرئيسي في العمل الأدبي ويزيد من اقناعنا به (٣)، وأحياناً يكون الرمز بمثابة تنفيس للعواطف والاحساسات التي أثارها العمل الأدبي داخل القارئ، وأحياناً أخرى يقوم الرمز ذاته بإثارة العواطف والاحساسات الراكدة داخله، وهكذا تتعدد وظائف الرمز بتعدد واختلاف النصوص الواردة بها (٤) وهو في كلّ يقوم بوظيفة عضوية في العمل الأدبي.

أما إذا أصبح الرمز وسيلة تعقيد وعموض شديدين كما هو طابع الرمز عند الغربيين - على الأعم الأغلب -، وهو من المآخذ التي أخذها النقاد عليها (٥) فإنها تفترق بذلك عن مفهوم الرمز العربي في التعبير الأدبي عند العرب بوصفه طاقة إيحائية في التعبير والتصوير.

(١) ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص ١٦.

(٢) ينظر: الرمزية والأدب العربي الحديث، أنطوان كرم، ص ١٢. وينظر: الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة: هنري زعيب، ص ١٠- ١١. وينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أمية حمدان، ص ٢٨- ٢٩.

(٣) المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العنيفة، دبيل راغب، ص ١١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٥) ينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، ص ٣١.

وثمة مأخذ كثيرة أخذها النقاد على الرمزين منها: إسرافهم في عدّ الشعر ضرباً من الموسيقى الخالصة^(١)، ونزعهم الذاتية المسرفة في تبليغ آرائهم في الحقائق النفسية والكونية، واعتمادهم الأحلام والروى للوصول إلى أعماق النفس، فجاءت صورهم الشعرية غريبة غامضة يعسر على القارئ إدراكها^(٢) وفهمها. هو ما يلاحظ في الرمزية الغربية وما يأتي على شاكلتها في الأدب العربي الحديث حيث نزع أصحابها إلى تقليد الغرب^(٣) ويمكن القول على وجه الإجمال: "أن الرمزية الغربية في جملتها مذهب انطوائي يجنح إلى الأثرة ويعيش في الظلام. مذهب يدعو إلى اعتزال المجتمع ويضنّ بالأدب أن يكون هادياً ومرشداً إلى الخير والحق، ويذفر من العقل والمنطق ويجنح إلى الخيال الشارد والوهم الذي لا سند له من التفكير المستقيم ويخلط بين المدركات الحسية التي أراد لها الله أن تكون متميزة، فجعل لكل مدرك حاسة وجعل الحواس خمساً لا واحدة. وهو مذهب يطلب المستحيل فلن يكون الشعر أبداً موسيقى خالصة، لأنّ الشعر مكوّن من كلمات، والكلمات مرتبطة بمعانيها، ولا يمكن أن تتجرد من هذه المعاني لتصير نغمات خالصة كما تبين ذلك للرمزين الغربيين أنفسهم، فاعترفوا بعجزهم عن تحقيق هذا المطلوب الجامع، كما لا يمكن كذلك أن يتصل الفنان الشاعر بعالم الجمال الأعلى عن طريق شعره وفنه، يتخذ من ذلك تعويذ ورقى ليصل إلى سر الوجود وهو مغمور في حماة الذنوس والذيلة، كما كان معظم أدباء الرمزية" ^(٤).

أما الرمزية في القرآن الكريم فلا يَدّ من الإلمام بها الإمامة عاجلة لأنها متصلة بموضوعنا اتصالاً وثيقاً، فقد احتوى القرآن على صور تمثّل الرمزية العربية في أسمى مظاهرها وفي كلا ركنيها: الإيجاز، وغير المباشرة في التعبير^(٥)، فالرمزية في القرآن في جملتها جارية مجرى الرمزية العربية ذات المعاني المقررة المحددة التي تستشف من

(١) ينظر: الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، د. علي جواد الطاهر، ص ٥٧. وينظر: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العنيفة، ص ١١٦.
(٢) ينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، ص ٢٨.
(٣) ينظر: الرمزية والأدب العربي الحديث، انطوان عطاس كرم، ص ١٨٣.
(٤) الرمزية في الأدب العربي، ص ٥٤٢-٥٤٣.
(٥) نفسه، ص ١٨٨.

العبارة الموجزة والصور المجازية والكنائيات وما إلى ذلك مما لا يعبر مباشرة عن المعاني (١).

والتعبير الرمزي في القرآن تجده متناثراً في أغلب سورته مما يحمل على إرادة الرمزية بمعناها الدقيق (٢) فهو يخذ الرمز وسيلة مهذبة من وسائل التعبير الفني، دون تجريح أو تقريع أو لوم أو تعذيف، بما يترك شعوراً عامضاً بالذفس أو أسمى داخلية في المشاعر والعواطف، وإنما يمس النفس مساً رفيقاً، ويداعب العواطف مداعبة هادفة (٣) من ذلك كنيائته الأدبية المبنوثة في كثير من سورته، منها قوله - تعالى - في صفة المسيح ﷺ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأِنَّهُ صَدِيقٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (٤) فاي أدب أسمى من هذا الأدب الذي يتمثل في الكناية بأكل الطعام عن الغائط والبول، لأنهما بسبب منه إذ لا بد للأكل منهما (٥) وقوله - تعالى - في المهر: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (٦) فكنى بالإفضاء عن الإصابة، وقيل عن الخلوة، والأول أصح لأن العرب إنما تكني عما يفتح ذكره، والخلوة لا يفتح ذكرها (٧) وغير ذلك من الكنائيات القرآنية التي أولاها البلاغيون والنقاد العرب عناية بالذكر وبيان المعاني التي تنطوي تحتها، كما عرضناها في هذا التمهيد، ولا بد من القول إن ما ذكره البلاغيون والنقاد والمفسرون من الكنائيات القرآنية كان محدوداً إذ يكر - على الأغلب - اللاحق منهم ما ذكره السابق من شواهد الكناية القرآنية، لذلك ظلت الكناية القرآنية بحاجة إلى استقصاء شامل في القرآن كله (٨) استقصاء يجمعها على صعيد واحد يمهّد لدراستها دراسة موضوعية شاملة تبين خصائصها التعبيرية والتصويرية بوصفها أسلوباً من أساليب القرآن البليغة المعجزة.

(١) الرمزية في الأدب العربي، ص ١٩٤.

(٢) أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، ص ١٢٢.

(٣) نفسه، ص ٢١.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٧٥.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣٠٤.

(٦) سورة النساء، من الآية: ٢١.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣١١.

(٨) ينظر: الأسلوب الكنائي نشأته تطوره بلاغته، محمود السيد شيخون، ص ٥٧ - ٥٨.